حسن الشهادة والأداء

في

...ي التجسد والفداء

بقلم

...ب الربان زكى بشير عيواز

سكرتير

...اطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس


234/12

003790

ܣܗܕܘܬܐ ܫܪܝܪܬܐ

ܕܥܠ ܡܬܒܪܢܫܢܘܬܐ ܘܦܘܪܩܢܐ

حسن الشهادة والأداء
في
سرّي التجسد والفداء

هدى

بقلم

الأب الربان زكي بشير عيواز

سكرتير

بطريركية انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس



نأذن بطبعه

حمص في ٣ تموز ١٩٥٩

اغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

مقدمة

في ٢٤ كانون الثاني ١٩٥٩ وجه الي سيادة الصديق البروبست يواخيم فيكلت رئيس الكنيسة اللوثرية في القدس ، دعوة الاكاديمية اللاهوتية الألمانية لحضور مؤتمر القدس الذي نوت عقده في ١٥ و ١٦ نيسان لبحث موضوع « طبيعة السيد المسيح ومجمع خلقيدونية » والقاء محاضرة في موقف كنيستنا السريانية الارثوذكية ازاء هذه العقيدة . وبعد ان استأذنت سيدي صاحب القداسة مار اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكيةوسائر المشرق الكلي الطوبى، لبيت الدعوة وحضرت المؤتمر المذكور والقيت المحاضرة المطلوبة بعنوان « طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد » . وقد كتبتها باسلوب بسيط ، متحاشياً جهد امكاني الاصطلاحات اللاهوتية والفلسفية العويصة ، معالجاً الموضوع من الوجهة التاريخية ، مثبتاً عقيدة كنيستنا المقدسة ببراهين دامغة وواضحة، نقلية وعقلية . وبشهادات الخصم نفسه . والقيتها في جلسة المؤتمر الاولى . وترجمت حالاً الى اللغتين الانكليزية والالمانية .

ومما هو جدير بالذكر ان الدكتور فريدريك هاير Dr. Friedreich Hayer. استاذ اللاهوت في الاكاديمية الألمانية المذكورة والذي كان يرأس جلسات المؤتمر ، علق على المحاضرة بقوله : « لقد اقتنعنا بما اثبته المحاضر بان مجمع خلقيدونية لم يجتمع بروح الله .

واردف قوله : لقدغدا واضحاً لدينا جميعاً ان الكنائس الارثوذكسية الشرقية القديمة التي تعتقد بطبيعة واحدة للسيد المسيح بعدالاتحاد بدون امتزاج ولا اختلاط ولا تبلبل ، وترفض مجمـــع خلقيدونية وعقيدته ، ليست اوطاخية المذهب كما كنا نظن ، فهذه الكنائس ، كقول الحاضر تحرم اوطاخي وهرطقته كما تحرم نسطور وبدعته ايضاً . انها اذن لامانة في عنق كل منا ، عند عودتـــه الى بلاده ، ان يصلح التاريخ الخاطىء المجحف في حق هذه الكنائس » .

ولا بد لي ان اذكر انه قد مثلت في هذا المؤتمر الودي ، الكنائس الارثوذكسية : السريانيه والقبطيـة والارمنية والحبشية . والكنـائس البروتستانتية : الاسقفية والانجلية واللوثرية التي كان ممثلوها من الاردن والمانيا وكندا وبلجيكا وغيرها .

هذا واني نزولاً عند رغبـة بعض الافاضل الغيارى ، أقدمت على نشر محاضرتي هـــذه آملا ان تفيد القارىء الكريم وتكون له وسيلة حسنة لتفهم الحقيقة المجردة، والعقيدة المسيحة القديمة السمحاء ،وحسبي الله ونعم الوكيل .

حمص في ٣٠ حزيران ١٩٥٩

الربان زكي بشير عيواز

١

طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد

١ ـ كلمة موجزة عن سري التجسد والفداء

عندما هوى الانسان الاول في وهدة المعصية ، شملت خطيئته كافة الجنس البشري من بعده « فبانسان واحد دخلت الخطيئة الى العـــالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت على جميع الناس اذ اخطأ الجميع » (رو ٥ ـ ١٢) . « وزاغوا وفسدوا واعوزهم مجد الله » (رو ٣ ـ ١٢ و ٢٢) « ولم يوجد بينهم بار ولا واحد » (رو ٣ ـ ١٠) .

واذ كانت تلك المعصية غير متناهيـــة لتوجيهها مباشرة الى الله اللامتناهي ، لذلك كان غيرممكن للملائكة والاباء والانبياء المتناهين ، ان يقدموا الكفارة عنها ، ويفوا العدل الالهي حقه ، حتى ولا النـاموس الموسوى ، الا الله وحده غير المتنـــاهي ، اذ لا يوجد شيء في هذا الكون الا وهو متناه ، كقول الرسول بـــولس « لانّ ما لم يستطعه الناموس وضعف عنه بسبب الجسد ، فقد انجزه الله اذ ارسل ابنـه في شبه جسد خطيئة وقضى على الخطيئة بالجسد من اجل الخطيئة (رو ٨ ـ ٣) فصار « كفارة عن خطايانا وليس عن خطايانا فقط بل خطايا العالم كله ايضا » (يو ٢ ـ ٢) .

فعندما بلغ ملء الزمان تجسد ابن الله (غل ٤ ـ ٤) من الروح القدس ومن القديسة مريم العذراء التي اصطفاها تعالى لهذا التدبير الالهي :

ذلك ان الروح القدس حل على العذراء وقدسها من الدنس الابوي فصارت اهلا لحلول ابن الله في احشائها ، ثم جبل من دمائها الطاهرة ناسوتا كاملا بجسم ونفس عاقلة ناطقة لابن الله الذي شاء ان يتجسد . غير انه لا اللاهوت وجد في احشاء العذراء قبل وجود الناسوت فيها ولا الناسوت وجد قبل اللاهوت . بل كلاهما وجدا معا في لحظة واحدة فاتحدا اتحادا ذاتيا طبيعيا جوهريا اقنوميا بدون اختلاط او امتزاج او استحالة ، بسر لايدرك . وولدته العذراء بعد تسعة اشهروهي بتول ، فصار الكلمة جسدا (يو ١ - ١) ودعي عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا (١ - ٢٣) يسوع المسيح (الذي كان منذ البدء الذي سمعناه ، الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته ايدينا (ايو ١ - ١) الذي اخذ كل ما لنا ما عدا الخطيئة (في ٢ - ٦ - ٨) .

ونما في القامة والحكمة ، ولما اكمل الثلاثين من عمره اعتمد في نهر الاردن من عبده يوحنا ، فنزل الروح القدس من السماء بشبه حمامة ، وحط على هامته ، وسمع صوت الآب من السماء قائلا « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » (مت ٣ - ١٧) .

وخلال تجواله في الارض ، قالت الناس فيه ما قالت ، فشاء له المجد ان يلقن تلاميذه الاطهار الدرس الخالد في العقيدة السمحاء التي يجب ان يؤمنوا بها ويسلموها اتباعه من بعدهم ، فسمعناه في نواحي قيصرية فيلبس يوجه اليهم سؤالا قائلا « من يقول الناس اني انا ابن الانسان ؟ فقالوا قوم يوحنا المعمدان وآخرون ايليا وآخرون ارميا او واحد من

الانبياء . قال لهم وانتم من تقولون اني انا . فأجاب سمعان بطرس وقال : انت هو المسيح ابن الله الحي . فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا . ان لحما ودما لم يعلن لك لكن ابي الذي في السموات ، وانا اقول لك ايضا انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها » (مت ١٦ : ١٣ - ٢٠) . فعلى صخرة الايمان بابن الله الحي وضعت اساسات الكنيسة ، ولا يبنى اذن اساس المسيحية الا على المسيح الواحد ، ولا يوجد مسيحان يمكننا ان نبني هذا الاساس على احدهما دون الاخر ، ولكن المسيح هو واحد لا غير ، وهو ابن الله الحي وابن الانسان مريم . والمسيحية لا يمكن ان تبنى الا على حقيقة المسيح بأكملها .

وسمعناه مرة اخرى يتحدث الى رسله عما هو عتيد ان يحتمله من الالام الفادحة من رؤساء اليهود ، وكيف انه سيموت وفي اليوم الثالث يقوم . ولا نستغرب اذا عرفنا ان رسله اعترتهم الدهشة عند تأملهم ماهية هذا الخبر ، فلم يدركوا كنهه ، ولم يسبروا غوره ، فأخذوا يسألون انفسهم كيف يحتمل الالام والموت وهو ابن الله الحي بل هو الله ؟ ورأينا بطرس يأخذه جانبا وينتهره قائلا حاشاك يا رب لا يكون لك هذا ، فيلتفت اليه يسوع موبخا وقائلا « اذهب عني يا شيطان . انت معثرة لي ، لانك لا تهتم بما لله لكن بما للناس » (مت ١٦ : ٢١ - ٢٤). نعم لم يكن بطرس ورفاقه يدركون معنى آلام ابن الله ، وموته بالجسد ، الموت الذي به سينالون والعالم اجمع الحياة والخلاص من اسر الخطيئة

والموت والشيطان . اما يسوع الذي كان عارفا « بانه لهذا اتى الى عالمنا » « فاذ وجد بالهيئة كانسان وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب » (في ٢ : ٨) ومحا بموته الصك المكتوب على البشرية ووفى العدل الالهي حقه ، وصالح الارض مع السماء . اجل ، صلب الاله المتجسد على يد اليهود الذين « لو عرفوا لما صلبوا رب المجد » ونزل الى الهاوية متحدا بروحه الناسوتية ، وخلص ارواح الراقدين على الرجاء به ، وفكهم من الاسر (اف ٤ : ٨ و ٩) (زك ٩ : ١١ و ١٢) واصعدهم الى الفردوس (لو ٢٣ : ٤٣) . وفي اليوم الثالث قام من بين الاموات بقوة لاهوته (مت ١٦ : ٢١ ، و ١٧ ٢٢ و ٢٠) وظهر بعد قيامته لتلاميذه منفردين ومجتمعين عدة مرات ، وللنسوة ، ومرة دخل العلية والابواب مغلقة وبين لتلاميذه اثر جروحه ، واكل قدامهم (لو ٢٤ : ٣٦ – ٤٣) مظهرا لهم نفسه حيا ببراهين كثيرة (اع ١ : ٣) وبقي مترددا اليهم اربعين يوما يفسر لهم ما كتب عنه (اع : ١ : ٣) ثم اخذهم على جبل وباركهم وصعد بناسوته الى السماء عيانا امامهم (اع ١ : ٩) وجلس عن يمين العظمة (مر ١٦ : ١٩ واع ٧ : ٥٦) وسيأتي ثانية بمجد عظيم جدا للدينونة (مت ٢٤ : ٢٩ – ٣١ واع ١ : ١١) .

هذه خلاصة سري التجسد والفداء الذي قام بهما الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس باقنومه الواحد وطبيعته الواحدة ومشيئته الواحدة .

٢ – الكنيسة والمبتدعون

وبعد ان تجلبب الرسل الاطهار قوة الروح القدس (اع ٢ : ٣ و ٤)

خرجوا الى جميع اقطار المسكونة ناشرين البشارة بالمسيح يسوع ، ومعمدين المؤمنين به باسم الاب والابن والروح القدس آله واحد ، مسلمين اياهم تعاليمه السمحاء نقية طاهرة ، قوية جبارة ، بسيطة سهلة بحيث يفهمها ابسط الناس واسذجهم ، وصعبة مستعصية بحيث لا يستطيع سبر غورها اكبر الفلاسفة واعظمهم . وكان من اهداف تعاليمهم هذه المكتوبة والمنقولة ، نشر العقيدة القويمة بالثالوث الاقدس التي آن اوان نشرها بوضوح ، في عهد ناموس الكمال ، واعلان الاعتقاد بالمسيح يسوع ابن الله الحي الذي به خلق الكون باسره ، وعليه تدور كافة ابحاث الكتاب المقدس بعهديه من الفه الى يائه .

وهكذا غزت النصرانية افكار الشعوب وملكت على قلوب البشر ، وانتشرت في كل بقعة من بقاع المسكونة ، ونما زرع الحق النقي الذي زرعه يسوع في حقله العظيم زرعا جيداً ، وظهر الى جانبه ايضاً زؤان الضلال الذي زرعه بينه ابليس عدو الخير . ذلك ان الجماهير الغفيرة التي دخلت النصرانية من اليهود والوثنيين بقيت في رواسي رؤوس بعضها اشياء من سخافات الوثنية البالية وفلسفتها المتشعبة واضاليلها الفاضحة ، وخرافات اليهودية الخاملة المكبلة بقيود الجنسية المحدودة والمتمسكة بالارضيات دون السماويات . اولئك نفر حاولوا جهد طاقتهم خلط حقائق الدين المسيحي القويم بسخافات دياناتهم القديمة ، فتنكبوا عن تعاليم المسيحية السمحاء التي سلمها الرب لرسله ، وهفوا في مزالق الفساد قائلين باطلا ومعلمين ضلالا ، حائدين عن جادة الحق مذيعين تعاليم غريبة ، مقلقين بذلك راحة

الرسل والمبشرين . ولم يتركوا وسيلة الا تذرعوا بها لخداع البسطاء من المؤمنين ، فاضلوا عقول ضعاف الايمان منهم واصطادوهم في شرك الباطل ، بيد ان رؤساء الكنيسة كانوا دائماً بالمرصاد لاولئك القوم الضالين والمضلين والانبياء الكذبة الكافرين ، الذين نازلوهم في ساحة القتال ، وظفروا بهم واحداً فواحداً بقوة الراعي الصالح يسوع المسيح محذرين الكنيسة منهم تحذيراً. هكذا ناءبت اليهودية والوثنية النصرانية العداء حسداً ، ولكنها خرجت من ساحة الوغى عالية اللواء ناصعة الجبين منتصرة محتفظة بجوهرة الايمان نقية صافية ، داحرة عدوتيها البغيضتين .

ويخبرنا التاريخ المسيحي انه في كل مرحلة من مراحله وعلى كل مسرح من مسارحه وفي كل دور من ادواره وعصر من عصوره ،وجد في الكنيسة المقدسة من حاول دس السم في تعاليمها الطاهرة ، فكان يتصدى له آباء قديسون وابطال صناديد يذودون عن حياض الكنيسة محافظين — حتى الدم — على نقاء ايمانها وسلامة عقيدتها ، داحرين غزوات موجات التعاليم الغريبة التي حاولت الامتزاج بمبادئها القويمة .

ففي العهد الرسولي ظهر الانبياء الكذبة والاخوة المضلون ،فحرمهم الرسل القديسون وابعدوهم عن حظيرة السيد المسيح . واقتفى اثرهم في العصور الاولى عشرات المبتدعين، اخطرهم آريوس الذي ظهر في اوائل القرن الرابع واعتقد « بان الابن ليس الهاً لكنه خلقة الله في اول خلائقه ، وهو اصغر من الآب ، وسلطانه منبثق منه ، وبالتالي ليس

مساويا للاب في الجوهر » . واخذ يبث هذه العقيدة الشنعاء في الامبراطورية الرومانية . حتى فندها المجمع النيقاوي المسكوني الاول سنة ٣٢٥ م ورتب الجزء الاول من دستور الايمان المسيحي المبني على اساس الكتاب المقدس ويبتدىء بعبارة « نؤمن بآله واحد .. » وينتهي بعبارة « ونؤمن بالروح القدس ..» وخلاصته (ان ربنا يسوع المسيح هو آله حق وابن الله الازلي حقاً ، ومساو لابيه في الجوهر).

ثم التأم المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية سنة ٣٨١ وفند بدعة مقدونيوس الذي انكر الوهة الروح القدس وقال عنه « انه مخلوق يشبه الملائكة ولكنه ذو رتبة اسمى منهم » . ورتب المجمع الجزء الثاني من قانون الايمان وهو « نؤمن بالروح القدس الرب المحيي الكل الذي من الآب ينبثق والذي مع الآب والابن يسجد له ويمجد الخ .. »

٣ — وحدة الاله المتجسد والمبتدعون ، تاريخياً

وجاء القرن الخامس يحمل بين طياته البدع الوخيمة والآراء العقيمة التي عنها نتجت الشقاقات والتفرقات التي لا يزال اثرها ظاهرا في جسم الكنيسة الواحدة حتى يومنا هذا . ذلك ان آباء الكنيسة في القرون الاربعة الاولى ، بما فيهم آباء المجمعين المسكونيين النيقاوي والقسطنطيني ، الذين تسلموا الايمان من الرسل الاطهار ، كانوا يعتقدون بالمسيح يسوع « بانه ابن الله الحي والاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس ، وهو ابن طبيعي لله الآب وللعذراء مريم ، وقد اتحد في تجسده اللاهوت والناسوت معا بدون تبلبل او امتزاج او اختلاط لذلك فله طبيعة واحدة

مركبة من طبيعتين (١)ومشيئة واحدة (٢) . واقوال الاباء بهذا الصدد لا تحصى وسنذكر بعضها في مكان آخر .

هذه كانت عقيدة الكنيسة الجامعة حتى ظهر نسطور بطريرك القسطنطينية في القرن الخامس الذي سقط في بدعة شنيعة شغلت الكنيسة اجيالا عدة ، اذ اعتقد « بان العذراء مريم لم تلد آلها متجسدا لكنها ولدت انسانا بحتا حل عليه الآله عند عماده في الثلاثين من عمره . وقال:من اجل ذلك لا ينبغي تسمية العذراء بوالدة الاله ، وان للسيد المسيح طبيعتين واقنومين » . وقد عاب على المجوس سجودهم للطفل يسوع (مت ٢ : ١١) . وقال ايضا حيث : « ان الله لم يولد فلا يجوز القول انه صلب ومات ايضا . بل انه حين جاء الى الصلب انفصل لاهوته عن ناسوته ، وكان المعلق على العود انسانا بحتا » . ولذلك تجرأ فاستقطع عبارة : يا من صلبت من اجلنا من التقاديس الثلاثة التي ترتلها الكنيسة في صلواتها (٣) .

فثار ضده الشعب المؤمن واستنكروا بدعته النكراء ، واظهروا له

---

١) الخريدة النفيسة ج ا ص ٤٦٢ - ٤٨٢ عن رسالة يوليوس الروماني الى ديونيسيوس اسقف قبرص . ونهج وسيم المطران جرجس شاهين الكاثوليكي ص ٢٠ وتاريخ الانشقاق لجراسيموس مسرة ج ا ص ١٩١ و ١٩٢ . وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية جزء ١ ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

٢) تاريخ الكنيسةالسريانية الانطاكية جزء ١ ص ٣٠٧ عن خطبةالذهبي الفم في قول السيد المسيح (لكن ليس كمشيئتي بل كمشيئتك مت ٢٦ : ٣٩)

٣) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٣٦ .

انحرافه عن الايمان القويم . كما كتب اليه بعض اباء الكنيسة كالقديس كيرلس بابا الاسكندرية مفحمين اراءه الوخيمة وناصحين اياه ليرعوي . ولكنه لم يرتدع بل اصر على عناده ، فعقد المجمع المسكوني الثالث في مدينة افسس سنة ٤٣١ م بأمر الامبراطور ثيودوسيوس الثاني ، وحضره نحو ٢٠٠ اسقف فحصوا بدعته وتعاليمه الوخيمة ، واذ وجدوها غريبة عن روح المسيحية حرموه واياها ، وايدوا العقيدة الصحيحة من الكتاب المقدس . واثبتوا ان للسيد المسيح اقنوما واحدا وطبيعة واحدة بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج ، وان العذراء هي والدة الاله .

وبناء على هذا القرار المجمعي امر الملك بنفي نسطور الى ديره ثم الى اووسا اخميم بصعيد مصر حيث قضى نحبه . ولكن بدعته بقيت بعد هلاكه منتشرة متفشية في جسم الكنيسة وخاصة في الشرق . وقام الآباء القويمو الرأي يذودون عن حياض الايمان الحق . ويقيمون الحجة على صحته رافضين بدعة نسطور الشنعاء . وكان من جملة المناضلين : اوطاخي رئيس دير في ضواحي القسطنطينية ، فبينما كان هذا يسفه هذه البدعة ، تطرف في منهج التعبير في سر التجسد وسقط هو الاخر في بدعة اكثر شناعة منها اذ قال باستحالة الناسوت الى اللاهوت ، وخلط ومزج احدى طبيعتي السيد المسيح بالاخرى ، وآل به الامر الى ان ينكر كون المسيح اتخذ ناسوتا حقيقيا من العذراء .

فحاججه اوسابيوس اسقف دوريليوم من اعمال فريجية ، وكان صديقه الحميم ، ونصحه بالاقلاع عن رأيه . وبينما كان يحاول اقناعه بخطأ تعليمه « بالطبيعة الواحدة الممتزجة » هوى هو الاخر في ضلال نسطور اذ قال « بفصل طبيعتي السيد المسيح بعد الاتحاد » . وشكا اوطاخي الى بطريركه فلابيانوس القسطنطيني واذ كان هذا من المتشيعين لنسطور : قبل شكوى اسابيوس وعقد على اوطاخي مجمعا في القسطنطينية وبرئاسته سنة ٤٨٨ حضره ٣٠ اسقفا ، وفيه حرم اوطاخي وعزله من رئاسة ديره ، وايد مذهب نسطور الوخيم القائـــــل « بان المسيح طبيعتين ومشيئتين بعد الاتحاد » وبذلك سقى غرسة العقيدة الخاطئة التي نضجت واكتملت في مجمع خلقيدونية ، والتي رفضها الاباء القديسون السالفون بكتاباتهم واقوالهم وتصريحاتهم ومجامعهم .

وما ان سمع اوطاخي بهذا الحكم حتى فزع الى الملك ثاودوسيوس يستغيث به من جور بطريرك القسطنطينية، مدعياً انه لم يفعل شيئاً سوى الدفاع عن الايمان المستقيم . فأمر الملك فاجتمع المجمع ثانية في القسطنطينية في شهر نيسان من السنة التالية ، بحضور فلابيانوس وفلورنسيوس معتمد الملك ومقدونيوس القائد . وابتدأوا في استعراض اعمال المجمع السابق ليتأكدوا من صحتها ورغم ان اغلب اعضاء هذه الهيئة هم بعينهم اعضاء المجمع المكاني المطعون فيه ، الا انهم بـدأوا يتراجعون ويتنصلون من اقوالهم ملقين التبعة بعضهم على بعض ، واخيراً رفضت الجلسة كما عقدت دون جدوى .

مجمع افسس الثانى

وانتهز اوطاخي فرصة تألب الرأي العام ضد فلابيانوس لقوله « بان للمسيح طبيعتين بعد الاتحـــــاد » فرفع شكواه ثاودوسيوس الثاني ، كما كتب الى آباء كثيرين ، من جملتهم لاون اسقف روما ، باسطاً لهم اراء بطريرك القسطنطينية ، وما لقيه منه من الظـــــلم ، طالباً التوسط لدى الامبراطور لاعادة النظر في قضيته واستئناف الحكم في مجمع مسكوني . فأجابه لاون برسالة مؤرخة في اول حزيران عام ٤٤٩ يقول فيها « الى الابن العزيز اوطاخي القس من لاون الاسقف » لقد بلغنا من رسالتك ان بعض اناس باغراضهم القبيحة قد انشأوا ثانية ارتقة نسطور ، فنعرفك اننا سررنا باهتمامك وعنايتك بهذه القضية ، ومن رسالتك تحقق عندنا ما في نيتـك ، ولذلك لم نشك في ان الرب الذي كون الامانة الجامعة سيسعفك في كل شيء . فاما نحن متى بلغنـــــا بالكمال امر اولئك الذين بنفاقهم يفعلون ذلك ، فيلزم اننا بتوفيق الله نعتني بقطع هذا الرأي القبيح الذي لمضي زمان يسير قـد نفي ، فليصنك الله عزت قدرته ايها الابن العـــــزيز (١) » .

اما الامبراطور ثيودوسيوس الثاني فاذ وجدان الخلاف قد تفاقم جداً، لبى طلب اوطاخي وكتب الى سائر البطـــــاركة والاساقفة بعقد مجمع

(١) كتاب تاريخ مجمع خلقيدونية بالعربية طبعة رومية سنة ١٦٩٤ باب (٤١ : ٣٤) .

مسكوني سنة ٤٣١ في مدينة افسس لحسم هذا الخلاف . فلما شعر فلابيانوس بصدور هذا الامر السامي ، ارسل الى لاون الروماني ثاودور يطس اسقف قورش وغيره من المتشيعين لنسطور ، يستنجد به فارسل الى المجمع نوابا عنه هم الاسقف يوليانس، والقس راناد ،والشماس ايلاروس (١) ، يحملون رسالة الى فلابيانوس لا الى المجمع كما يقضي القانون .

وبعث الامبراطور بثلاث رسائل الى البابا ديوسقوروس الاسكندري بهذا الصدد ، خوله في الثالثة منها حق رئاسة المجمع . ومما قاله : « اعلم اننا امرنا سابقاً ان ثاودور يطس اسقف قورش لا يحضر في المجمع الى أن يظهر ما ينبغي بخصوص خصومه لكونه تجاسر وتكلم في الامانة ، بخلاف ما كتب كيرلس الصالح ذكره... واننا نوهب قداسك سلطانا ونجعلك متقدما ، ليس فقط فيما يخص ثاودور يطس بل وعما يخص كل المجع المقدس (٢) . ثم عين الملك اثنين من معيته نائبين عنه في المجمع . وامرهما بان الذين كانوا قضاة في امر اوطاخي يكونون حاضرين بالصمت دون ان يجالسوا القضاة .

وهكذا اجتمع الى افسس مائة وثلاثون اسقفاً من سائر انحاء المسكونة وعقدت جلسات المجع في كنيسة العذراء ابتداء من اليوم الثامن من شهر آب سنة ٤٤٩ .

١) فيه باب ١٤ : ٤٢ و ٤٣) .

٢) تاريخ مجمع خلقيدونية (باب ١٨ : ٨٩) .

ودعي اوطاخي وسئل عن عقيدته ، فاعترف امام المجمع بالعقيدة الصحيحة السليمة ، وايد قوله بان قدم له ايضاً اعترافا صحيحاً مكتوباً بتوقيعه ، معلناً تمسكه بايمان مجمعي نيقية وافسس وجميع الآباء الارثوذكسين السالفين . وحرمه لجميع الهراطقة ولا سيماماني ووالنطينس وابو ليناريوس ونسطور حتى سيمون الساحر ، مشهداً على ذلك السيد يسوع المسيح (١) .

وتلا الآباء اعمال مجمع افسس الاول المسكوني ، وقانون ايمان المجمع النيقاوي وتعاليم الآباء القديسين في سر التجسد المجيد . ولم تقرأ رسالة لاون الآنفة الذكر .

ولم يقرر هذا المجمع شيئاً جديداً بل اثبت ماقرره المجمع الافسسي السابق (٢) . معلناً وجوب التمسك بعقيدة الكنيسة القديمة . وبعد البحث الكثير خلص الى القرار التالي : « للمرة الثانية نحدد القول بطبيعة واحدة بعد الاتحاد للكلمة المتجسد بدون اختلاط او امتزاج او استحالة » .

اما فلابيانوس القسطنطيني ودمنوس الانطاكي وثاودور يطس القورشي وهيبا لرهاوي واوسابيوس اسقف دوريليوم فحطهم المجمع

« ١ » تاريخ مجمع افسس الثاني بالسريانية. والتاريخ الكنسي لابن العبري في ترجمة دمنوس ، وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٨٠ . وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٣٣ – ١٣٥

« ٢ » تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٨٠ .

عن كراسيهم ورتبهم لتمسكهم بالقول بطبيعتين للسيدالمسيح بعد الاتحاد ورفع الآباء قرارات المجمع الى الامبراطور ثيؤدوسيوس الذي اثنى عليها واصدر امراً بنفي فلابيانوس (١) . وعاد الآباء الى ابرشياتهم فرحين مسرورين بالرب ، مطمئني البال اذ قد حافظوا على الايمان القويم ، ودحضوا البدع الوخيمة .

اما اوطاخي فقد عاد بعدئذ الى غيه ونادى بتعاليم تناقض المعتقد الارثوذكسي الصحيح ، وتبين ان ما اظهره في المجمع السابق كان خلاف ما يبطنه . اما المجمع المقدس فكان مضطراً لاثبات براءته بعد ما قدم صورة ايمانه السليمة ، واعترافه الصريح امام الآباء ولو انه حكم عليه بعكس ما حكم لاعتبر حكمه ظلماً . ولكنه بالوقت نفسه حرم تعاليمه . واذعاد اوطاخي اليها اسقطه الاساقفة من رتبته وحرموه (٢) .

اما نواب لاون اسقف روما فعادوا الى سيدهم بعد ارفضاض جلسات مجمع افسس الثاني ، وحملوا اليه صورة عن قرارات واحكام هذا المجمع واوقفوه على كل ما دار فيه ، واذ علم ان رسالته لم تقرأ في المجمع ، عد ذلك اهانة كبرى له ، وهو الذي يحلم في الرئاسة العامة على الكنيسة

« ١ » تاريخ مجمع خلقيدونية باب ١٥ : ٤٥ وباب ١٦ : ٦٢) . وتاريخ مجمع افسس الثاني بالسريانية وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١١٩ – ١٤٧

« ٢ » تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٣٣ – ١٣٧ و ٣٠٩ – ٣١٣

وبالعصمة التامة . وكيف لا يغضب والمجمع لم يكتف بعدم الاخذ برأيه الموافق لرأي فلبيانس بطريرك القسطنطينية بل حرم فلبيانس وكل من يعتقد باعتقاده ، وعدّهم مبتدعين لمناداتهم بطبيعتين للسيد المسيح بعد الاتحاد . حينئذ التّب لاون حوله الاساقفة المقطوعين الذين اذ اكتشفوا نقطة الضعف فيه اشبعوا كبرياءه اذ لجأوا اليه فقبلهم في شركته ، وكتب الى الامبراطور ثيودوسيوس متوسلا اليه ليسمح له بعقد مجمع في كرسيه يستأنف فيه الاحكام التي اصدرها مجمع افسس الثاني فاجابه الامبراطور يقول : (ان مجمع افسس قد فحص كل شيء بمقتضى رسوم العدل والايمان فأقصي فيه غير المستحقين من الكهنوت ، واعيد المستحقون الى درجاتهم (١) .

فلما رأى لاون ان ثيودوسيوس لم يلب رغبته ، التمس بدموع غزيرة من والنطيان قيصر الغرب ليكتب الى ثيودوسيوس بالموضوع ذاته ، ففعل ، فأجابه ثيودوسيوس برسالة اظهر فيها عدم ضرورة عقد مجمع آخر ومما قال : اما من حيثية فلابيانوس فنقول لانه من حكمه انكشف امر جديد مهم ضد مذهب الايمان ، فهو قد نال ما استحقه وبعد ما طرد ذاك اصبح في البيعة صلح وسلام وليس فيها الا الحق المسيحي) . كما قال المؤرخ ثاوفانيس (٢) .
وذكر بعض المؤرخين انه عندما بلغ ديوسقوروس الاسكندريان

١) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٤٨ – ١٥٠ ؛
٢) تاريخ الانشقاق ج لجراسيموس مسرة ١ : ٢٢٥ .

لاون قبل الاساقفة المطرودين في شركته : جمع مجمعاً في مدينة الاسكندرية من جميع اساقفة الكرازة المرقسية وحكم على لاون الروماني بالحرم واذاع هذا الحكم .

ودار الزمان دورته ، ومرت سنتان على مجمع افسس الثاني المقدس وانتقل الملك ثيودوسيوس المظفر الى جوار ربه ، ولم يعقب خلفاً سوى اخت اسمها بلخارية كانت قد نذرت العفة وترهبت في احد الاديار ، فافتاها بعض الاساقفة المرائين (١) للتزوج من مرقيان احد قواد الجيش وكان من انصار نسطور ، فنكثت نذرها وتزوجته ، وسلمت اليه مقاليد المملكة فاصبح امبراطور الشرق .

وانبسطت اسارير لاون اسقف روما بهذا التغيير المفاجيء في الحالة السياسية في الشرق وزمجر يريد الانتقام من عدوه ديوسقوروس . وبعث الى بلخارية وزوجها مرقيان وفداً مؤلفا من الاساقفة المقطوعين ملتمسا عقد مجمع يستأنف احكام مجمع افسس . واذ كانت بلخارية ميالة الى فلبيانس ، وترغب من مدة في حد نفوذ البابا ديوسقوروس (٢) واذ كان زوجها مرقيان تابعا لنسطور ، ساعدا لاون على تكميل رغائبه وامرا بانعقاد مجمع لفحص وقائع مجمع افسس الثاني .

١) تاريخ مختصر الدول للعلامة ابن العبري الطبعة الثانية ص ٨٥ .

٢) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٥٠ وتاريخ الامة القبطية وكنيستها تأليف مدام بوتشر ج ٢ ، ص ٥١ .

ودعا مرقيان البابا ديوسقوروس الى المجمع فحضر الى القسطنطينية ، وسأل عن سبب عقد مجمع ، فقيل له لتوضيح الايمان ، اجاب بجرأته المعهودة « ان الايمان لفي غاية الكمال ولا يعوزه شيء من الايضاح ، وهو مقرر ومثبت من الاباء ، امثال اثناسيوس وكيرلس وغيرهما ». واذ حاول مرقيان وبعض الاساقفة ان يستميلوه ليوافق على رسالة لاون التي تثبت الطبيعتين بعد الاتحاد ، قال « ان اعتقاد البيعة ينبغي الا يزاد عليه او ينقص منه ، فالمسيح واحد بالطبع والجوهر والفعل والمشيئة كما كرز الاباء . اسمعوا ماذا قال ابي القديس كيرلس ان اتحاد اللاهوت بالناسوت هو كاتحاد النار بالحديد ، فاذا ضرب الحديد بالمطرقة فان الحديد هو الذي يتأثر ولكن النار لا يلحقها شيء » .

واذ ثبت لبلخارية ومرقيان وبعض الاساقفة المقطوعين ما وهب الله لديوسقوروس من قوة الحجة ووضوح البرهان لتفسير الايمان ، اتفقوا على ان يكون المجمع بعيدا عن العاصمة في مدينة خلقيدونية بالقرب من البسفور ، لئلا يحدث ما لاتحمد عقباه ، وعلى ان لا يناقشوا ديوسقوروس في امر الايمان بل يقتصروا على البحث في امر الاساقفة المقطوعين ورسالة لاون .

مجمع خلقدونية

لقد وضعت كنيسة روما كتابا سردت فيه ما حدث في مجمع افسس الثاني والمجمع الخلقيدوني ، واسمته (تاريخ المجمع الخلقيدوني) ،

وترجمته من اللاتينية الى العربية بواسطة الراهب فرنسيس اللاتيني ثم طبعته بمدينة روما ١٦٩٤ م ونشرته (١) ، واني بسرد حوادث هذا المجمع سأعتمد كل الاعتماد على هذا الكتاب دامغــاً الخصم ببرهانه مثبتاً الحقائق من اقواله .

عقد هذا المجمع في اليوم الثامن من شهر تشرين الاول عام ٤٥١ م (٢) ، في كنيسة اوفيميا في مدينة خلقيدونية (٣) « قاضي كوي » اليوم تجاه مدينة القسطنطينية . واختلف المؤرخون في عدد اساقفته فبعضهم قال انهم كانوا ٣٣٠ وبعضهم ارتــأى انهم بلغــوا ٦٣٠ ، اشهرهم ديوسقوروس بابا الاسكندرية ، ومكسيموس بطريرك انطاكيــة ، ويوبيناليوس اسقف اورشليم واناطوليوس بطريرك القسطنطينية ، كما اوفد لاون اسقف روما ثلاثة نواب عنه هم الاسقفــان باسكاسينوس ولوشنسيوس والقس بونيتاسيوس .

وجلس في وسط المجمع القضاة الذين اختيروا لادارة جلساتــه ، وجلس الاساقفة كل بمكانه فوقف باسكاسينوس نــائب لاون الروماني وقال « معنا اوامر الاقنوم الطوباوي اسقف رومية يأمر بهــا ان

١) انظر الخريدة النفيسة جزء ١ ص ٤٩٧

٢) لومون اليسوعي ج ١ ص ٢٥٨ - تاريخ سوريا للدبس ج ٤ ص ١٠ : تاريخ الانشقاق ج ١ ص ٢٦٦ . وتاريخ الكنيسة السريانية ج ٢ ص ١٥٤ .

٣) ابن العبري عن مجمع خلقيدونية في ترجمة مكسيموس - وتاريخ ميخائيل الكبير ص ١٨٧ .

ديوسقوروس لا يكون له جلوس في هذا المجمع ولكن احضروه هنا كي يرد الجواب عن فعله ، ونحن ملزمون بحفظ ذلك فأمروا ان يخرج والا نخرج نحن » .

فسأله القضاة عما فعله الاب ديوسقوروس مخالفا للقوانين . فقال : « ينبغي له ان يحضر ويرد الجواب عما حكم به كونه اذ لم يكن معه سلطان بهذه القضية ، عقد باقتراحه مجمعا بغــير دستور الكرسي الرسولي » .

لو عقد مجمع افسس الثاني بدون علم من اسقف روما لما قلل اهميته لانه كان مستوفيا شروط المجامع المسكونية التي انما كانت تعقد بامر الملك لفض المشاكل الكنسية ، ولم يذكر التاريخ الكنسي ان احدها عقد باذن من اسقف روما ، الذي كان صوته فيها كصوت احد الاساقفة لا غير . وحضوره فيها وغيابه عنها كان سواسية . ونص المرسوم الملكي الصادر لانعقاد مجمع افسس الثاني مدون في كتب المدعين انفسهم (١) .

ومما يدعو الى الاستغراب تجاهل نائب روما الواقع بادعائه هـذا الكاذب فاذا لم يكن لاسقف روما علم بعقد مجمع افسس الثــاني ، فمن الذي بعث بنواب روما الثلاثة الاسقف يوليانوس والقس رانادوالشماس ايلاروس ؟ وبالنيابة عن من حضر هؤلاء في المجمع المذكــور : ومن

١) راجع تاريخ مجمع خاقيدونية بالعربية باب ١٨ : ٨٤و٨٥ وتاريــخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٠٨ - ١٠٩ و ١٥٩ -- ١٦٠ .

الذي كتب طومس لاون الذي طفقوا يطلبون قراءته ؟

هذا ما لاحظه القضاة فزجروا باسكاسينوس نائب لاون الروماني بقولهم « ان كنت بمقام قاض لا يصح لك ان تدعي كالمشتكي » . فلاذ بالصمت اثر هذا التبكيت (١) .

حينئذ قدّم اوسابيوس اسقف دوريليوم المحروم شكواه ومضمونها ان البابا ديوسقوروس هو رفيق اوطاخي ، وقد حكم عليه وعلى فلابيانوس اسقف القسطنطينية ظلما . فاجاب ديوسقوروس « سيبدو الحق واضحا عند قراءة اعمال مجمع افسس الثاني اذ دونت فيه كل الامور بوضوح تام » .

فأمر القضاة بقراءة رسائل الملكين تاودوسيوس وفالنتيانوس الى البابا ديوسقوروس يدعوانه بالحضور الى افسس ، ورسالة الملك تاودوسيوس اليه ايضا بخصوص حضور رئيس الدير مار برصوم السرياني . وقال قسطنطين كاتب الديوان الملكي انه توجد رسائل اخرى لاساقفة اخرين تدعوهم الى الحضور فلم يتريث القضاة حتى تقرأ هذه الرسائل ولكنهم صرحوا بدخول ثاودوريطوس اسقف قورش الى المجمع « لكون لاون الروماني رده الى كرسيه والملك امر بحضوره المجمع » كذا . ولما دخل قال اساقفة مصر والليريا وفلسطين « ارحمونا يا قوم الان باد الايمان ، اعلموا ان القوانين تطرد هذا خارجا فاطردوه

١) تاريخ مجمع خلقيدونية باب ١٨ : ٨ - ٨٣

انتم عنا » . ولكن القضاة لم يعيروا لاقوالهم اهمية بل خضعوا لرأي الغوغاء ، الشمامسة النساطرة الذين كانوا في هذا المجمع اكثر من الاساقفة والذين كانوا يهيجون ويموجون لاجلاس ثاودوريطوس في المجمع . وهذا ما حدا باساقفة مصر ومن معهم على ان يقولوا للقضاة « أفا الشمامسة كانوا الاولين في تثبيت القضية فلماذا يصرخون الان ؟ فالمجمع ليس هو اجتماع شمامسة بل اجتماع اساقفة ، فاطردوا الى خارج من ليس له كلام في المجمع ومن ثبت القضية يحضر في وسط المجمع لاننا نحن ثبتناها من بعد تثبيتهم لها » .

واستأنف الكاتب قراءة بقية اعمال مجمع افسس الثاني وعندما انتهى من تلاوة رسائل الامبراطور الامرة بانعقاد المجمع قال ديوسقوروس « لقد اتضح مما تلي على مسامعكم ان الملك ثيودوسيوس ، لم ينط امر المجمع بي وحدي بل ولىّ معي في القضاء يوبيناليوس وتلاسيوس ، فلماذا اذن ينسبون الي وحدي ما تم في افسس ؟ والواقع اننا كنا متساوين في السلطان ، وان ما اصدره المجمع من قرارات قد وافق عليه جميع الاساقفة فاقروا باصواتهم ووقعوا بايديهم واخبرنا الملك بذلك وهو ثبت بامر عال كل ما حكم به المجمع المقدس » (١) .فأجاب بعض الاساقفة الشرقيين قائلين « اننا لم نوافق على قرارات المجمع السالف الا مرغمين

١) انظر المراسيم الملكية في تاريخ مجمع خلقيدونية باب ١٨ : ٨٩ وانظر تاريخ سوريا للدبس ج ٤ : ٥٠٥ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٤٥ - ١٤٧ و ١٦٨ .

ولم نحكم على فلابيانوس من تلقاء انفسنا ، اغصبونا وارعبونا بالضرب فامضينا قرطاسا ابيض ونحن محاطون بالجنود شاهري السلاح » .

فأجابهم اساقفة مصر قائلين « ان المسيحي لا يخاف من احد. جندي المسيح لا يرهب القوة التي لا تخيف سوى الجبان . ائتوا بالنار الى هنا ونحن نعلمكم كيف يكون الاستشهاد . لو كان الشهداء يخافون الناس لما فازوا بالشهادة » .

واستأنف الكاتب قراءة اعمال المجمع ولما وصل الى قول الاساقفة « ان جدّد احد يكون محروما ، ان فحص احد في ايمان القديسين السالفين يكون محروما ، فلتحفظ امانة الاباء الاطهار » قال اساقفة الشرق ، « لم نقل هذا » واتهموا كتبة ديوسقوروس بانهم وحدهم الذين كتبوا الاعمال فسأل القضاة عن كاتب النسخة التي بين ايديهم . فقال ديوسقوروس « كل واحد من الاساقفة كان له كتبة كتبوا نسخته » . فأقر بذلك يوبيناليوس وثلاسيوس واسقف قورنشس وغيرهم . فقال ديوسقوروس فلم قالوا عن كتبتي انهم وحدهم كتبوا الاعمال .

ثم امر القضاة بتلاوة بقيه الاعمال ، وعندما بلغ القارىء اعتراف اوطاخي الذي قدمه الى مجمع افسس الثاني ومصادقة الاساقفة على ارثوذكسيته ، ومن بينهم باسيليوس اسقف سالوقيا ، انكر هذا مصادقته . فتألم ديوسقوروس لكذبه وقال « لست ادري ما الذي يدعو باسيليوس الى انكار خطابه المحرر في دفتر الاعمال وهو يعلم انه انما صادق على تعليم صحيح قدم الينا » ثم استطرد قائلا « اذا كان اوطاخي

قد جحد العقيدة الصحيحة التي دونها في رسالته ، ونادى بتعليم غريب فهو لا يستحق العقاب فقط بل هو جدير بان يحرق بالنار . اما انا فلا اتزعزع قيد انملة عن ايمان الكنيسة الجامعة الرسولية ، انني لا اهتم الا بخلاص نفسي وبالمحافظة على العقيدة الصحيحة والايمان المستقيم » .

واستأنف الكاتب القراءة ، فسرد ما نادي به باسيليوس السالوقي الآنف الذكر اذ قال « انني احرم كل من يفصل المسيح الواحد ، بعد اتحاد لاهوته بناسوته ، الى طبيعتين او اقنومين او جوهرين ، ولا يسجد لطبيعة واحدة هي طبيعة الابن الوحيد المتجسد » وعاد الاسقف فأنكر ايضا اعترافه بهذا القول . وعندئذ سأله القضاة عن سبب حرمه لفلابيانوس ان كان يعتقد باعتقاده ، فقال « ان حكمي كان لاحقا لحكم مائة وعشرين او مائة وثلاثين اسقفا ، فالتزمت ان اطاوعهم في الامور التي فرضوها » .

فنظر اليه ديوسقوروس وقال الان كذّبت الكتاب القائل « من فمك تتبرر ومن فمك تدان » (مت ١١ : ٣٧) ، لقد استحييت من الناس فتجاوزت حدود الصلاح واهنت الايمان ، لعلك ما سمعت ما كتب « لا تخجل من شيء يهلكك » .

فتأثر الاساقفة المدعون زورا وبهتانا على ديوسقوروس من تأنيبه اياهم ، وضعفوا امام قوة حججه وسديد براهينه ، فلم يجدوا بدا من التسليم ، فوقفوا في المجمع قائلين (كلنا اخطأنا وكلنا نطلب الغفران) .

وهنا جابههم القضاة قائلين لهم « لماذا ذكرتم سابقا انكم اضطررتم

رغما عنكم وقهرا ان تكتبوا اسمائكم في قرطاس ابيض في عزل فلابيانوس » ؟ فلم يتمكنوا الا من تكرار اعتذارهم الاول قائلين « كلنا اخطأنا وكلنا نطلب الغفران » .

ومن الغريب انه بينما يعترض الخلقيدونيون على ديوسقوروس بعدم السماح لاوسابيوس اسقف دوريليوم بدخول مجمع افسس الثاني ، نراهم يسمحون لثاودوريطس النسطوي الاسقف المقطوع بالحضور في مجمع خلقيدونية ، الامر الذي حدا بالبابا ديوسقوروس ان يصيح فيهم قائلا « انتم تثلبونني كاني تعديت القوانين . فهل انتم تحفظونها في ادخال ثاودوريطس ؟ اجابه القضاة « ثاودوريطس دخل بصفة مشتك » قال ديوسقوروس « ولأي سبب جلس في درجة الاسقفية » ؟ قالوا ان اوسابيوس وثادوريطس جلسا في صف المشتكين » .

وقد اوضح ديوسقوروس عدالة الحكم على فلابيانيوس اذ قال « هو امر واضح ان فلابيانوس عزل ، لانه قال بطبيعتين بعد الاتحاد ، وعندي شهادات من اقوال الاباء القديسين ، من اثناسيوس وغريغوريوس وكيرلس ، انه لا ينبغي القول بطبيعتين بعد الاتحاد ، بل طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسدة » .

قال اساقفة الشرق « هذاقول اوطاخي هكذا يقول ديوسقوروس » قال ديوسقوروس « لسنا نقول بالاختلاط ولا بالامتزاج ولا

بالاستحالة » (١) .

بهذا القول الصريح نفى ديوسقوروس عن ذاته التهمة التي الصقها به اعداوه بانه رفيق اوطاخي بالايمان . واثبت ان اقراره بالطبيعة الواحدة انما هو نتيجة الاقرار بالاتحاد الطبيعي . اما تعليم اوطاخي بالطبيعة الواحدة فهو نتيجة اقراره بالامتزاج والاستحالة والاختلاط ، والفرق عظيم بين كلا الاقرارين (٢) ولولا ذلك لما رأينا اباء الكنيسة القديسين الذين رفضوا مجمع خلقيدونية كمار طيمثاوس الثاني الاسكندري وسويوريوس الانطاكي وثاودوسيوس الاسكندري وفيلكسينوس المنبجي وبطرس الثاني الانطاكي ويعقوب السروجي واسحق الانطاكي وغيرهم ، يحرمون اوطاخي كما يحرمون نسطور ، وهذه كتاباتهم تشهد

---

١) كان هؤلاء قد افتروا قبلا مدعين ان رجال ديوسقوروس ورهبان اوطاخي وعددهم ثلاثمائة ، والجنود اكرهوهم على عزل فلابيانوس وتوعدوهم بالضرب والنفي وارعبوهم بالسيوف والعصي فوقعوا ورقة بيضاء ، حتى حصحص الحق ولم يجدوا بدا من الاقرار بخطأهم . وقد لغط بمثل تلك الافتراءات معظم الكتبة البيزنطيين الاولين ومن نسج على منوالهم ، وما زال يلغط بها بعض المتأخرين منهم ، كالدكتور اسد رستم في كتابيه « الروم » ج ١ ص ١٢٦ « وكنيسة مدينة الله انطاكية » ج ١ ص ٣٣٤ وقد ضمن الاخير فضلا عن افتراءات كهذه آراء اخرى نسطورية وبروتستانتية ولاتينية ، كما عزا غيرها زوراً الى مصادر هي خالية منها وتلفيقات اخرى اشبه بخرافات عجائزية .
١ »راجع عن هذا كله تاريخ مجمع خلقيدرنية بالعربية طبعة روميةو الخريدة النفيسة ج ١ ص ٥٢٨ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٥٨ - ١٧٥ .

٢) الخريدة النفيسة الجزء ١ ص ٥٣١ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٧٣ و ١٢٩ و ٣١٣ .

لهم (١) . وعلى منوالهم نسجت الكنيسة الارثوذكسية الجامعة المقدسة الرسولية . ومن هذا ينفضح كذب بعض المؤرخين القدامى والجدد من البيزنطيين والغربيين الذين يلصقون هرطقة اوطاخي بكنيستنا المقدسة . قال المؤرخ المدقق موسهيم « ان اوطاخي اعتقد بان طبيعة المسيح الالهية امتزجت بالانسانية حتى صار المسيح بطبيعة واحدة الهية . غير انه لا يتضح جليا اكان ذلك اكيداً او غير اكيد . اما هذه العبارة مع اسم اوطاخي فقد تركها ورفضها مقاومو المجمع الخلقيدوني الذين اقتادهم زينون وبطرس القصار ولهذا يسمون ذوي الطبيعة الواحدة لا اوطاخيين لان كل الذين يطلق عليهم هذا الاسم اعتقدوا ان الطبيعة الالهية والطبيعة الانسانية اتحدتا وصارتا طبيعة واحدة فقط ولكن بدون تحويل او امتزاج » (٢) .

اما تبرئة اوطاخي في مجمع افسس الثاني ، فلا يستدل منها ممالأة المجمع له في العقيدة . نحن نعرف ان المجامع المسكونية السابقة لم تكن لتصدر احكامها على المبتدعين الا بعد ان تتأكد من انهم مصرون على التمسك باقوالهم المناقضة للايمان المستقيم . وحتى في هذه الحال كانوا يصدرون حكمهم متألمين ومتأسفين . اذ انهم كانوا يتمنون ان لو عاد المبتدعون الى التمسك بالعقيدة القويمة ، لكي يصدروا حكمهم ببراءتهم ومجمع افسس الثاني لم يخرج على هذه القاعدة المجمعية في تبرئته اوطاخي

١) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٣٠٩ – ٢٣١ .
٢) موسهيم قرن ٥ قسم ٢ فصل ٥ : ٢٣ .

لقد ناقشه الاباء في عقيدته شفاها فاقر واعترف بالايمان السليم ، ثم قدم الى المجمع صورة ايمانه مكتوبة بخط يده ، فاذا بها ارثوذكسية صحيحة فماذا على المجمع بعد هذا . او لم يكن مضطراً الى اصدار حكمه ببراءته.

كان على الخلقيدونيين ان يعترضوا على ديوسقوروس واباء مجمع افسس الثاني لو انهم رأوا في اعتراف اوطاخي الكتابي والمدون في اعمال المجمع ما يخالف ايمان الاباء القديسين والكنيسة الجامعة . اما ان اوطاخي قد عاد الى بدعته ثانية بعد تبرئته وبعد ارفضاض المجمع ، فهذا ما لا دخل لديوسقوروس ولآباء المجمع فيه . اذ كان من الممكن ان تعاد محاكمة اوطاخي في مجمع آخر على اساس عودته الى بدعته . هذا علاوة على ان لاون اسقف رومية كان قد شجع اوطاخي قبل ان يحله آباء مجمع افسس الثاني ، ذلك انه انفذ اليه رسالة « يثني فيها على عنايته بامر الايمان ، ويدعوه فيها بالابن القس العزيز » كما اسلفنا (١) .

والنتيجة التي يمكننا استخلاصها من كل ما سبق هي ان ديوسقوروس بريء من كل ما نسب اليه في مجمع خلقيدونية من ادعاءات باطلة واقوال لا محل لها من الصحة. عندئذ قرر القضاة حل الجلسة الاولى من المجمع ورفعها الى ما بعد خمسة ايام (٢) .

١) انظر هنا ص ١١ .
٢) كتاب تاريخ مجمع خلقيدونية باب ٢٧ : ١٦٣ – ١٧١

الجلسة الثانية

واذ ضاق نواب رومية ذرعا بسديد اجوبة ديوسقوروس وتأكدوا من انه لو استمر المجمع معه بالاخذ والرد لخرج منه ظافرا منتصرا : انتهزوا فرصة غياب القضاة ، واتفقوا مع الاساقفة الشرقيين النساطرة وبعض الاساقفة الجبناء المتذبذبين ، وعقدوا جلسة سرية في اليوم الثالث من حل الجلسة الاولى ، اي قبل الموعد الذي حدده القضـاة بيومين كاملين . ولم يعلموا بهذا القضاة ، ولا دعوا اساقفة مصر ومن معهم . ووضعوا حراسا على باب البيت الذي كان يتبطنه ديوسقوروس كي يمنعوه من الخروج اذا حاول ذلك . ثم ارسلوا يستدعونه لحضور جلستهم غير القانونية . وعنـــدما قال لرسلهم « ان الحراس يمنعونني من الخروج » اجابوه بأنهم سيخبرونهم ليسمحوا له بذلك وكلما اراد الخروج كانوا يمنعونه بحرابهم . واستدعوه ثانية وثالثة فاخبرهم بامر الحراس واخيرا حين علم بعدم حضور القضاة بينهم قال « لقد نظر المجمع والقضـاة في امري فما الذي يريده المجمع الان ؟ هل يقصد ابطال ما حدث بحضور القضاة ؟ انني لا احضر هذا المجمع الا اذا حضره القضاة » (١) .

فاجتمع هذا النفر من الاساقفة الجبناء تحت ضغط وتهديـد نواب اسقف روما ، ودون ان يحاججوا ديوسقوروس اصـــدروا حكمهم

١) كتاب تاريخ مجمع خلقيدونية باب ٢٨ : ١٧١ — ١٧٦ و تاريخ الكنيسـة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٧٦ .

المغرض الزائف الذي جاء فيه « قد ظهرت وتحققت الامور التي صنعها ديوسقوروس ... فقد قبل اوطاخي بخلاف ما تأمر به القوانـين ... واستخص لذاته الولاية قهرا .. ولم يأذن ان تقرأ رسالة لاون صاحب كرسي كنيسة رومية .. وقد دعاه المجمع ثلاث مرات بموجب القوانين الكنائسية فخالف امره وابى السير اليه ... فلاجل ذلك لاون الحبر الاقدس بواسطتنا .. قد نزع عنه درجة الاسقفية وعزله من خدمـة الكهنوت ، فالان هذا المجمع المقدس يحكم في دعوى ديوسقوروس بما رسمته القوانين (١) كذا..

واعلنوا هذا الحكم حالا ، فاحتج قضاة المجمع على هـذا الاستبداد وطلبوا سحب اعلان الحكم ، فلم يفلحوا اذ قد جاء هذا الحـكم مشبعا لنهم بلخارية وزوجها مرقيـــان ورغبتهما الجامحة بالانتقـــام من ديوسقوروس .

وها نحن اليوم نضع هذه الحوادث الشائنة ، بل المهازل الدامية ، امام الضمير المسيحي النقي ، نضعهـــا مجردة من كل تعليق معتمدين بسردها كما ذكرنا ، على تاريخ مجمع خلقيدونية من وضـــع الخصوم انفسهم .

فما حكمكم على الحكم الجائر الذي صدر في جلسة سرية غير قانونية وفي موعد مخالف لما نص عليه المجمع في جلسته الاولى ؟ ومن هيئة لا

١] تاريخ مجمع خلقيدونية باب ٢٨ : ١٨٧ و ١٨٨

تمثل مجمعا مسكونيا ، بل اغلب اعضائها محكوم عليهم في مجـــامع مسكونية سابقة قانونية لتمسكهم بعقيدة نسطور ؟ وبعـــدم حضور القضاة ، ونواب الملك ، والاســـاقفة الارثوذكسيين ، وصدر الحكم الزائف غيابياً رغم وجود المدعى عليه قريبا من مقر الجلسة وصدر بناء على تهم تثبت براءته منها في الجلسة السابقة بحضور المجمع بكامل هيئته. اذ اعترف المدعون انذاك قائلين : « اخطأنا ونطلب الغفران » وحتى في هذه الجلسة لم يدعوا قط لا في تهمهم الباطلة ولا في حكمهم ، بان ديوسقوروس قد انحرف عن الايمان القويم ، اي المسألة الوحيدة التي تجيز الحكم على الاساقفة بالقطع ، وقد اثبتوا براءة ديوسقوروس ومجمعه منها ، واعترفوا بشرعية مجمع افسس الثاني ، دون ان يعرفوا ، فمجمع افسس كان قد نزل دمنوس اسقف انطاكية وفلابيانوس اسقف العاصمة بذنب واحد ، وهو الاقرار بالطبيعتين بعد الاتحاد الطبيعي الجوهري . وقد شاهدنا من بين اعضاء مجمع خلقيدونية مكسيموس بدل دمنوس الذي كان لا يزال حيا واناطوليوس بدل فلابيانوس المتوفي . واناطوليوس هذا كان مشرطنا من ديوسقوروس .

فاذا كان ما اجراه ديوسقوروس ومجمع افسس الثاني في غير محله ، لماذا لم يردوا دمنوس الى كرسي انطاكية ويعزلوا مكسيموس واناطوليوس؟فان رسامتها على حسب ماقرروه كانت بالطبع غير شرعية (١).

١] الخريدة النفيسة جزء ١ ص ٥٣٤ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١١٦ - ١٦٧ .

فمن مجرى حوادث جلستهم الاولى وهذه الجلسة غير القانونية ، يظهر لنا غرضهم البغيض وانهم قد اثبتوا براءة ديوسقوروس ومجمع افسس الثاني من حيث يدرون او لا يدرون. فحكمهم عليه ساقط بالبداهة .

وذكر بعض المؤرخين ان ديوسقوروس رغب في قراءة صـورة ايمان المجمع الخلقيدوني ، فارسلت اليه ، فتلاها امام رهط من اساقفته واذ وجدوها جميعا مخالفة لاقوال الاباء القديسين وايمان المجـــامع المسكونية المقدسة ، كتبوا على هامشها من الجهـات الاربع ، ما يظهر فسادها ، حارمين كل من يعتقد بها ، ويتجاسر على تغيير العقيـــدة الارثوذكسية الصحيحة او يتلاعب بقوانين المجامع المسكونية (١) .

ثم امر مرقيان بنفي مارديوسقوروس الى غنغرة في بفلاغونيا من اسيا الصغرى ، وحاول الخلقيدونيون جهدهم ارغام اساقفة مصر الميامين على التوقيع على رسالة لاون وقرار مجمعهم ، فأبوا وعزموا على ان لا يتزعزعوا قيد شعرة عن الايمان الصحيح ولو قدّموا اعناقهم في سبيل ذلك.

وهكذا ارفض مجمع خلقيدونية بعد ان غيّر الايمان القويم وايّد ضلال نسطور القائل بالطبيعتين للسيد المسيح بعد الاتحاد ، قاسما المخلص الواحد الى اثنين ، شاطرا الكنيسة الواحدة الجامعة مشتتا ابناءها بدلا من ان يجمعهم ويوحدهم . فابتدأت منذ ذلك اليوم الشقاقات وعم التنافر بين الاحزاب ، وما زالت الكنيسة حتى اليوم تعاني الآلام من

١] تاريخ الكنيسة القبطية للقس منسى يوحنا ص ٣١٠ .

جراء ذلك الانقسام البغيض . كيف لا وقد اثير على اثره اضطهاد عظيم على من رفض مجمع خلقيدونية حتى ان فرطوريـــوس الذي اغتصب الكرسي الاسكندري ، قتل بواسطة الجنود البيزنطيين اربعة وعشرين الفا ممن تمسكوا بايمان الاباء القديسين، اغلبهم اساقفة وقسوس ورهبان(١) وطرد بقيـــة الاساقفة الارثوذكسيين من كراسيهم واقام مكانهم دخلاء . وقد بذلت الدولة الرومانية كل ما في وسعها من جهد ، في العزل والنفي والتنكيل ، لتجري قانون المجمع الخلقيدوني (٢) ، ولكنها باءت بالفشل الذريع . فان الايمان الارثوذكسي لم تخمد جذوته في قـلوب هؤلاء الابطال الذين لم يرهبوا سطوة الرومان وقوتهم العسكرية حسبما شهد مؤرخو الخصوم انفسهم (٣) . واستهزأوا بالضيقات ولم يبـــالوا بالنفي والطرد ، وكان في مقدمتهم من السريان البطريرك الانطاكي بطرس الثاني الملقب بالقصار والقديس برصوم الناسك رئيس اديرة الشرق . وفيلكسينوس المنبجي وسوريوس الانطاكي وغيرهم. وعقدت الكنيسة بعدئذ عدة مجامع حرمت فيها قرار مجمع خلقيدونية وطومس (رسالة) لاون . اخصها مجمع القسطنطينية المسكوني الذي انعقد سنة ٤٧٦ بأمر الامبراطور باسيليسكوس وحضره ماربطرس الثـــاني البطريرك الانطاكي والقديس طيمثاوس الثاني البطريرك الاسكندري

١ » تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٩٥ – ١٩٨ نقلا عن المؤرخين الثقات .

٢ » كلدو واثور ج ٢ ص ١٣٣ .

٣ » فيه ص ١٣٢ – ١٣٣ .

ونحو خمسمائة اسقف . ثم اصدر باسيليسكوس مرسوماً ضـــد المجمع الخلقيدوني ورسالة لاون ، مثبتا عقيدة الطبيعة الواحدة للسيد المسيح بعد الاتحاد (١) ووقّعه نحو سبعمائة اسقف (٢) .

وفي سنة ٤٨٢ انعقد مجمع آخر في القسطنطينية بامر الامـبراطور زينون ، واصدر قرارا قبلته كل من انطاكية والاسكندرية واورشليم والقسطنطينية ووقع عليه نواب اسقف رومية ، واثبته الملك زينون (بالهنوطيقون) اي منشور الاتحاد الذي كتبه باشارة اقاق البطريرك القسطنطيني ووجّهه الى الاساقفة والمؤمنين في الاسكنـــدرية وليبية والمدن الخمس . جاء فيه « نعلمكم ان اي بحث كان او تحديد ايمان آخر كان خارجا عن الامانة التي قررها الاباء الثلاثمائة وثمانية عشر ، فاننـا نرفضه بل نجعله غريبا عنا ، لان هذه الامانة غير معابة ، وانها مستقيمة وقد ايدها الاباء القديسون المائة والخمسون بالقسطنطينية واتبعها آباؤنا القديسون الذين اجتمعوا مع القديس كيرلس وعزلوا المنافق نسطور وقبلوا ايضاً الاثني عشر فصلا التي للطوباني كيرلس . ونحن ايضا نحرم نسطور واوطيخا الخيالي وكل من ظن بامانة اخرى خارجا عن الامانة التي سبقنا واخبرنا عنها . ونعترف بان الله الوحيد الجنس الهنا وربنـا ومخلصنا يسوع المسيح الذي صار انسانا بالحقيقة ، المساوي لله بحسب اللاهوت وهو مساو لنا ايضا بحسب الناسوت الذي تنازل وتجسد من

١ » تاريخ الانشقاق جزء ٢ ص ٢٦٥ .

٢ » تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٢٣١ – ٢٣٢ .

الروح القدس ومن مريم العذراء القديسة، هو ابن الله. واما الذين يفرقونه او يجعلونه اثنين او يظنون فيه خيالا او امتزاجا. فلا نقبلهم بالكلية لان المولود من العذراء لم يزد ابنا آخر، لكن الثالوث ثبت ثالوثا ايضا من بعد ما صار كلمة الله الواحد من الثالوث جسدا (١) ...

نستنتج مما سبق ان الايمان بالطبيعتين الذي اقرّه مجمع خلقيدونية كان دخيلا على تعاليم الكنيسة، ادخل اليها قسرا. فقاومه الاباء الميامين وقبل به على مضض بعض الاساقفة الجبناء، وعندما سنحت لهم الفرص انكروه. دليلنا على ذلك ان هنوطيقون زينون السابق لم تقبل بـه كنائس انطاكية والاسكندرية فحسب بل وكنيسة القسطنطينية ايضا. وهو لا يعترف الا بايمان المجامع المسكونية الثلاثة الاولى وبفصول كيرلس الاثني عشر التي تؤيد الطبيعة الواحدة لله الكلمة المتجسد.

ويطول بنا الشرح لو تتبعنا الحوادث التاريخية التي عقبت هذه الحقبة وتطور الجدل من الطبيعة والطبيعتين الى المشيئة والمشيئتين، وكيف ان هرقل مثلا في القرن السابع، اقترح ان يُترك البحث بعقيدة الطبيعة والطبيعتين، وان يعمم الاعتقاد بمشيئة واحدة في الكلمة المتجسد، فوافقه اغلب الاساقفة ومنهم انوريوس اسقف رومية الذي على اثر ذلك ارسل لسرجيوس بطريرك القسطنطينية يقول (انه من حيث المشيئة،

١ » تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٢٤١ – ٢٤٢ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٥٥٠ – ٥٥١ و ٥٥٣ – ٥٥٤ .

يعترف بمشيئة واحدة في المسيح (١). والاعتراف بالمشيئة الواحدة ينقض التعليم بالطبيعتين.

وان ما ذكرناه في هذه العجالة كاف لاقناع الباحث اللبيب بان الاعتقاد بالطبيعة الواحدة لله الكلمة المتجسد انما كان اعتقاد الكنيسة الجامعة منذ صدرها.

٤ — وحدة الاله المتجسد وآباء الكنيسة

لقد اعتقد اباء الكنيسة الاولون في جميع اجيالهم بوحدة الطبيعة لله الكلمة المتجسد كما ذكرنا، وتركوا لنا في هذا الموضوع ابحاثا واسعة وشروحا واضحة واعترافات صادقة نذكر في ما يلي بعضا منها:

١ ـ قال القديس غريغوريوس العجائبي (+ ٢٧٠) في كتابه عن الايمان «الله الحقيقي الذي بغير جسد ظهر في الجسد وهو تام في اللاهوت الحقيقي الكامل، ليس له شخصان ولا هو طبيعتان ولا نقول اننا نعبد رابوعا. الله، وابن الله، وانسانا، والروح القدس» (٢).

٢ ـ عندما وضع آباء مجمع نيقية قانون الايمان النيقاوي المعروف

١ » الخريدة النفيسة ج ٢ ص ١٢٤ – وتاريخ الانشقاق جزء ١ ص ١٩٢ .

٢ » منارة الاقداس لابن العبري م ٢ ف ٢ ب ٤ ر ٤ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٤٦٢ – ٤٨١ ؛ اللاهوت لميخائيل مينا جزء ١ ص ٣٤٢ .

عزوا الامور الازلية والزمنية ، والافعال الرفيعة والوضيعة معـا الى الواحد هو السيد المسيح ، فقالوا : « اله حق من اله حق.. نزل من السماء وتجسد ... وصلب ... وتألم ومات ودفن وقام ... وصعد الى السماء ».

٣ ـ قال القديس اثناسيوس الرسولي (٣٧٣ +) في رسالتـه الى الملك يوبيانوس « ينبغي ان نعتقد بطبيعة واحدة واقنوم واحد لله الكلمة المتجسد المتأنس بالكمال . ومن لم يقل ذلك فانه يخاصم الله ويحـارب الاباء القديسين » (١) .

وقال في مقالته عن التجسد « ان غير الجسد والجسد ، اشــتركا بالاجتماع الى طبيعة واحدة ، وهو الله والانسان معا ، وهو لا يقبل تغييرا ولا استحالة ... بل اقنوم واحد ووجه واحد وفعل واحـد وطبيعة واحدة لله الكلمة الذي صار جسدا » (٢) .

٤ ـ كتب يوليوس اسقف رومية (في القرن الرابع) في رسالته الى ديونيسيوس اسقف قبرص يقول « الذين لا يعترفون بالاله الذي نزل من السماء انه تجسد من عذراء وانه واحد مع جسده يذهبون في قول المنافقين الذين يقولون على ما بلغني انه ذو طبيعتين . بالضرورة يلزم الذين يعتقدون بطبيعتين ان يسجدوا للواحدة ولا يسجدوا للاخرى » (٣) .

١) منارة الاقداس المطلب الثاني الفصل الثاني الباب الرابع الركن الرابع المطاليب النظرية للاسقف ايسدورس ص ١٨٨ .

٢) فيها .

٣) انظر تاريخ الانشقاق ص ١٩٣ والخريدة النفيسة ج١ ص ٤٦٣ .

وقال فيما قال في احدى رسائله في موضوع « المساوي في الجوهر » « اننا لم نجد في الكتب الالهية فرقا بين الكلمة وجسده لكنها طبيعـة واحدة واقنوم واحد وشخص واحد وفعل واحد جميعه الله وجميعـــه انسان » . وقال ايضا « اذا كان الفاعل واحدا فيكون الفعل واحدا ايضاً اعني حركة الفاعل » (١) .

٥ ـ قال مارافرام (٣٧٣ +) شمس السريان ونبيهم ، في ميمره في جمعة الالام « قدّموا لذراع الخالق العظيم قصبة الهزء ، وسمروا الشبر الذي مسح السماء على العود . ان الله كون بمسيحه البرايا وقد سمر اولاد آدم اليدين اللتين جبلتا آدم . قام الله في المحكمة وقبـــل اللطم في دار الحكومة ، نحن سمعنا ان الله لا يمكنه الاصطبار على سماع كلمة صغيرة وقد تعلق على العود فاغتاظت الموجودات . ولقد شربنا سلافه وارتكبنـا المظمة » .

٦ ـ قال باسيليوس في تفسيره الاية القائلة « ان الرب خلقني » (لسنا نقول عن الابن الوحيد انه اثنان . ولا نقول ان « اللاهوت » منفرد بذاته . ولا « الناسوت » بذاته بل نقول طبيعة واحدة واقنوما واحدا . لان بطرس الرسول لم يذكر طبيعتين لكن اعترف وقال « ان المسيح تألم من اجلنا بالجسد » وايضا من جهة ولادته بالجسد بشر الملاك الرعاة قائلا

١) المنارة م ٢ ف ٢ ب ٤ ر ٤ والمطاليب النظرية ص ١٨٨ .

« انه قد ولد لكم اليوم مخلص المسيح الرب » (١) .

٧ ـ قال القديس غريغوريوس الثيؤلوغس « هو اقنوم واحـد ، طبيعة واحدة سجدت له المجوس ، لان وحدانية الله الكلمة ليست بعدد طبائع ولا اقانيم فقد ولد من عذراء ، وحفظ ايضا عذرتها وبتوليتها بلا تغيير ... هو ابن واحد . ليس للمسيح طبيعتان بعد الاتحـاد ، ولا هو مفترق ولا مختلط في ما اجتمع من الجهتين ، لان طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت اجتمعتا الى وحدانية » .

٨ ـ وقال القديس الذهبي الفم في المقالة الثالثة من تفسيره رسالة افسس « ولكنني ابين الامر ان الله الكلمة اخذ الانسان كله من طبيعتنا وهو كامل في كل شيء ، وله اقنومه فيه اعني الكلمة فلاجل هذا نقول عنه انه طبيعة واحدة ، الله الكلمة صار جسدا » .

٩ ـ قال القديس كيرلس الاسكندري « نعترف بان ابن الله هو اله بالروح وابن الانسان بالجسد ، وليس طبيعتين لذلك الابن الواحد احدها يسجد له والاخر لا ، بل لكلمة الله المتجسد طبيعة واحدة » .

وقال في رسالته الى ثيؤدوسيوس الملك « اننا لا نعري الناسوت من اللاهوت ، ولا نعري الكلمة من الناسوت بعد ذلك الاتحاد الغامض ، الذي لا يمكن تفسيره ، بل نعترف بان المسيح الواحد ، هو من شيئين

١) اللاهوت لميخائيل مينا جزء ١ ص ٣٤٢ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٤٦٢ – ٤٨١ .

اجتمعا الى واحد مؤلف من كليهما ، لا بهدم الطبيعتين ، ولا باختلاطهما بل باتحاد شريف في الغاية » .

وقال « ان الطبيعتين اتحدتا وان الكلمة صار انسانا وتجسد ونقول ان هذا الاتحاد طبيعي لنفي الغير الحقيقي والاضافي الذي لنا مع الله بالايمان والقداسة ، لاننا صرنا شركاء الطبيعة الالهيـــة (٢ بط ١ : ٤) (١) .

وقال في رسالته الى سوقينوس « اذا تأملنا الان في المسير الذي لا ضرر فيه قائلين ان الطبائع قبل الاتحاد طبيعتان واما بعد الاتحاد فلا نفرق الطبيعتين من بعضهما ولا نقول انهما ابنان ولا نفصل ذلك الذي لم ينقسم ، بل نقول ان الابن واحد كما قال الاباء وكيـــان الله الكلمة المتجسد واحد (٢) .

وقال في الفصل الخامس من فصوله الاثنى عشر « من يتجاسر ويقول ان المسيح انسان وقد سكن فيه الله ولم يقل انه اله بالحق وابن واحد بالطبيعة لان الكلمة صار جسدا (يو ١ : ٤) واشترك مثلنا في اللحم والدم (عب ٢ : ١٢) فليكن محروما (٣) .

١) منارة الاقداس والمطاليب النظرية ص ١٨٩ .
٢) فيهما
٣) كلدو واثور ج ٢ ص ١٢٩ .
٣) مما يؤسف له انه مع وجود هذه البراهين الناصعة يتجنى حضرة الدكتور اسد رستم على هذا القديس ويقول انه قال بطبيعتين « الروم » ج ١ ص ١٢٤ وتاريخ كنيسة مدينة الله انطاكية ج ١ ص ٣١٢ .

٥ ـ وحدة الاله المتجسد لاهوتيا

تعتقد الكنائس الارثوذكسية الانطاكية السريانية ، والاسكندرية القبطية والارمنية والحبشية ، بطبيعة واحدة ، واقنوم واحد ومشيئة واحدة ، وفعل واحد لله الكلمة الازلي المتجسد بغير اختلاط ولاامتزاج ولا تغيير .

اما الكنائس اللاتينية واليونانية والبروتستانتية ، فتعتقد بان للسيد المسيح من بعد الاتحاد الطبيعي الجوهري الحقيقي طبيعتين ، طبيعة لاهوتية تعمل ما يختص باللاهوت وطبيعة ناسوتية تعمل ما يختص بالناسوت .

فبينما تعترف كنيستنا باتحاد الطبيعتين لفظا وفعلا ، تنادي الكنائس الاخرى بانفصالهما فعلا وان عمدت الى اتحادهما لفظا ، وبذلك تفرق بين المسيح الاله والمسيح الانسان ، اذ تنسب للاهوت افعالا وللناسوت غيرها . كقول لاون الروماني في طومسه : « حقا ياتي المسيح الاثنان الاله والانسان الواحد يبهر بالمعجزات والاخر ملقى للاهانات » بينما تنادي كنيستنا بان كل ما يتعلق باللاهوت وكل ما يتعلق بالناسوت ينسب على حد سواء الى الكلمة المتجسد دون تفريق . مستندة بذلك الى حجج ساطعة ، وبراهين قاطعة ، كتابية ، ومنطقية ، وتاريخية ، والى شهادة الخصوم انفسهم .

ولكي نزيد هذا الموضوع العويص وضوحا ، لا بد لنا ان نعرف ما

هي الطبيعة . وما هو الاقنوم . وما يقصد بالاتحاد الاقنومي الطبيعي .

عرّف الفلاسفة الطبيعة بقولهم الطبيعة : تطلق على ماهية الشيء (اي حقيقته وذاته)فقولنا طبيعة الله اي الله ذاته . اما الاقنوم فهو يطلق على قيام ذلك الشيء بذاته . او بعبارة اوضح الاقنوم جوهر روحي شخصي لطبيعة قابلة الاشتراك بكثيرين شأنه يقيمها بذاتها ويحجر عن الاشتراك (١) اي ان الاقنوم هو الذي يميز الاشخاص من بعضهم فيميز بطرس من بولس وبولس من حنا .

والاقنوم ، اعم من الشخص . لان السريان يعرفونه بانه الجوهر المخصوص ، او الطبيعة المخصوصة بخاصة . فيتناول الخالق والمخلوق معا . اما الشخص فيتناول المخلوق فقط . فاذا تخصصت الذات كانت اقنوما سواء كانت ذات الباري او غيرها ، واذا تعينت الصفة كانت شخصا (٢) .

وذكر العلامة مارغريغوريوس ابن العبري في موسوعته اللاهوتية (منارة الاقداس) قال: في عرفنا نحن الكنيسيين ، كل جوهر طبيعة ، وكل طبيعة جوهر لان الطبيعة عندنا لا تحمل على الاعراض لكن الاعراض قائمة في الطبيعة اما عند الخوارج فكل جوهر طبيعة ، وليس كل طبيعة جوهر . فالاعراض نفسها في ذاتية طبيعتها عندهم مختلفة عن بعضها . والطبيعة

---

١) علم اللاهوت لميخائيل مينا جزء ١ ص ٣٢٤ .

٢) المطاليب النظرية ص ١٠٤ .

عندنا وعند الخوارج ، اما عامـــة او خاصـــة ، فالطبيعة الخاصـــة تسمى اقنوما ، وعليه فلا يمكن للطبيعة ان توجد بدون اقنوم فعلا ، انما في الكينونة فقط . اما الاقانيم الكثيرة فليس من المستحيل ان توجد في طبيعة عامة تجمعهم (١) .

وقال الاسقف ايسيدورس : « الطبيعة ، بالقياس الى المخـــلوقات المعقولة او المحسوسة تعم وتخص فاذا عمت تنـــاولت كل افراد النوع كبطرس وبولس ويوحنا من نوع الانسان ، والفرس والسبع والحمار والقط من نوع الحيوان ، وميخائيل وجبرائيل من نوع الارواح ،واذا خصت تناولت الشخص او الفرد الواحد من النوع كبطرس فقط من نوع الانسان والفرس فقط من نوع الحيوان وميخائيل فقط من نوع المعقولات .

وقال احدهم ، (حيث يوجد الجوهر وجد معه الخصوص والعموم . فان كل الخصوص كان الجوهر ذا اقنوم واحد . وان كان العموم كان ذا اقانيم كثيرة) .

وقال ايضا : « الذات او الطبيعة او الجوهر بخاصة هي الاقنوم او الشخص ، ولهذا لا يمكن ان يكون جوهر او طبيعة او ذات بدون اقنوم بالفعل ما عدا في العقل » (٢) .

---

١) الركن الرابع الفصل الاول .

٢) المطاليب النظرية ص ١٠٥ .

ما معنى الاتحاد

الاتحاد عامة هو مصير شيئين او اكثر شيئا واحدا . اما الاتحاد في علم اللاهوت فهو اجتماع يحصل بدون تغيير في طبيعـــة الجوهر التي تكون متحدة اي لا يقبل في ماهياته التغيير ولا الاستحالة ولا التفاسد كاتحاد النفس بالجسد اللذين لا يشوبها ادنى اختلاط او امتزاج وكاتحاد النار بالحديد ، والكهرباء بالسلك .

فكل من النفس والجسد يحفظ ما يخصه بالاتحاد الذاتي مثال ذلك ، لو ان النفس استحالت الى حيث الجسد ، لعدم منها النطق والعقل وباقي الافعال المختصة بها ، وبقيت مثل الحيوان . وكانت تهلك عند الموت ، وتصير ترابا. ولو ان الجسد استحال الى حيث النفس، لكان لا يحتاج الى اكل وشرب . فكل منهما حفظ ما يخصه بالاتحاد الذاتي .

والنفس اللطيفة باتحادها بالجسم الكثيف تؤثر فيه ولا تتأثر منه ، اذ اوصلت له ما لها من الحياة وشرفته عن طبع الحيوان بالعقل والنطق ، فقام الانسان من جوهرين ، جوهر حيواني ارضي وجوهر سماوي فصارا كيانا واحدا وجوهرا واحدا لاتحادهما الذاتي ، فمهما وقع من الحوادث بجزء من هذا الكيان الواحد المركب من جزئـــين ينسب لكليته ، مع ان بعض الافعال لا تقع الا بالنفس وغيرها لا تقع الا بالجسم او بجزء من احد اجزائه المؤلفة له . ولكن لما كان مركبا وقائما كيانا واحدا من الاجزاء المتحدة اتحادا ذاتيا طبيعيا ، فمهما نال احد اجزائه

امرا ينسب للاجزاء الاخرى ، كقولنا ، يوحنا اكل او شرب او نام او سالم مهندس او محام او ميت او حي .

قال القديس كيرلس بطريرك الاسكندرية « فأخذنا لنا مثالا لاتحاد اللاهوت بالناسوت كاتحاد النار بالحديد ، وانْ كانا طبعين مختلفين ، فباتحادهما صارا طبعا واحدا . لا ان طبع النار استحال فصار حديدا ، ولا ان طبع الحديد استحال فصار نارا ، بل نار اتحدت بحديد هي النار وهي الحديد ... وان الحديد اذا ضرب بالمرزبة هي النار المضروبة والحديد الذي يتألم . والنار لا تتألم (١) .

وقال ايضا في رسالته الى لوكيطس اسقف قيسارية (يجب ان نأخذ لنا مثالا من طبعنا نحن البشر لاننا مخلوقون من نفس وجسد وهما طبيعتان مختلفتان قبل الاتحاد ، وباتحادهما صارا انسانا واحداً بطبع واحد لم تتغير النفس عن طبعها باتحادها بالجسد ، فصارت جسدا ، ولا الجسد صار نفساً ، بل النفس والجسد طبع واحداً ، وانسان واحد (٢) .

هكذا نفهم اتحاد اللاهوت والناسوت في المسيح الواحد . وهذا ما قصده الكتاب العزيز بنصوصه الالهية ، والاباء الاطهار باقوالهم الشريفة وهذا ما يفهمه المنطق السليم ويؤمن به العقل . ولا يمكن ان نطلق

١) الباب الرابع من كتاب الجامع المخطوط لابن المقفع .

٢ » فيه . وكتاب ديوسقورس للقمص ارمانيوس حبشي شتا البرماوي ص ١٨٦ و ١٨٧ .

التثنية على جوهرين بعد اتحادهما . فبعد اتحاد اللاهوت بالناسوت بطلت منهما التثنية في الاسماء . كما ان اتحاد النفس والجسد في الانسان الواحد لا يقال لهما بعد الاتحاد حيوان وناطق بل حيوان ناطق . ولم نجد مثالا اقرب الى العقل من هذا تقريبا لاتحاد لطافة الكلمة بكثافة ناسوته . فبعد الاتحاد لا يقال الانسان والاله ، ولا الاله والانسان ، بل الانسان الاله ، والاله الانسان . وبعبارة الكتاب المقدس « الاله الكلمة المتجسد »

٦ – وحدة الاله المتجسد والكتاب المقدس

مر بنا سابقا ان اتباع مجمع خلقيدونية بينما يعترفون باتحاد طبيعتي السيد المسيح ، اللاهوتية والناسوتية ، لفظا ، ينادون بانفصالهما فعلا . ويفسر اعتقادهم هذا ما ورد في رسالة (طومس) لاون القائل « حقا يأتي المسيح الاثنان الاله والانسان ، فالاول يبهر بالمعجزات والاخر ملقى للاهانات » . وهذا الاعتقاد بعيد عن روح الكتاب المقدس بعد الثريا عن الثرى . فكتاب الله العزيز لم يفرق بين طبيعتي السيد المسيح واقنوميه . ونصوصه الالهية تظهر جليا وحدة الطبيعة للاله المتجسد ، اذ تنسب له الافعال الرفيعة والوضيعة معا ، واحيانا تعزو فعل الازلي للزمني والزمني للازلي غير مميزة او مفرقة افعالا من افعال . والسبب في ذلك هو ان كل ما فعله السيد المسيح انما يعزى الى الواحد وهو الاله الكلمة المتجسد .

١ – قال يوحنا اللاهوتي على لسان السيد المسيح ، انا هو الاول

والاخر ، الحي وكنت ميتا ، وها انا حي الى ابد الابدين (رؤ ١ : ١٧) . فالمتحدث هنا هو اللاهوت الازلي الابدي ، ولكنه يقول ايضا (كنت ميتا) مع ان موت الكلمة المتجسد لم يقع بالفعل على اللاهوت بل وقع على الناسوت . ولكن لفظة (انا) في بدء الاية ونهايتها دليل قاطع على وجود الطبيعة الواحدة للكلمة المتجسد ، وهي التي سوغت المتحدث ان يعزو الحياة والموت لذاته . ولا عجب فالكتاب المقدس يعزو الموت الى النفس بسبب اتحادها بالجسد . مع ان النفس خالدة ، والموت يقع على الجسد . فقد ورد في التوراة « فتعينون لانفسكم مدنا تكون مدن ملجأ لكم ليهرب اليها القاتل الذي قتل نفسا سهوا » (عـد ٣٥ : ١١) وكقول صاحب الامثال (اما هم فيكمنون لدم انفسهم . يختفون لانفسهم أم ١ : ١٨) فلا نخرج عن اسلوب الروح وقوة الكتب المقدسة بقولنا ان الاله تألم وصلب ومات ذلك لان اللاهوت والناسوت بعد الاتحاد الطبيعي الجوهري اصبحا واحدا .

٢ ـ قال السيد المسيح « قبل ان يكون ابراهيم انا كائن » (يو ٨ : ٥٨) فالذي كان قبل ابراهيم هو اللاهوت لا الناسوت ، لان الازلية هي من صفات اللاهوت . ومع هذا فالمتحدث هنا هو الناسوت الذي له بدء والحديث يدل على ازليته التي هي من صفات اللاهوت . فلم يقل لاهوتي كائن بل « انا كائن » وفي ذكر كلمة « انا » عن ذاته دليل قاطع على وحدة الطبيعة في الكلمة المتجسد . « فانا » بديهيا لا تقبل التثنية بتاتا .

٣ ـ قال الرسول بولس « لو عرفوا لما صلبوا رب المجد » (١ كو ٢ :

٨) ان الذي كان منظوراً على الصليب هو ابن الانسان ـ الناسوت ـ ولكن الآية تقول ان المصلوب هو رب المجد نفسه ، وهذه التسمية لا يمكن اطلاقها على انسان بسيط ، فربّ المجد هو آله حق . وفي الآية منتهى الدقة في التعبير اذ ان رب المجد الواحد في طبيعته وهو عينه صلبه اليهود . ولو صلبوا انسانا بحتا لما رافقتهم اللعنة في كل اجيالهم ، ولكنا بعد في الخطيئة ، ولما تمت الغاية من تجسد الاله الكلمة ، والتي هي خلاص البشر من عبودية الموت والشيطان والخطية ، اذ ليس من المقبول عقلا ان يستطيع هذا الناسوت مهما كان طاهرا ان يمحو صك المعصية الاولى لو لم يكن متحدا فعلا باللاهوت ، الذي اعطاه القيمة الكبرى التي تتناسب مع اهمية عمل الفداء وايفاء العدل الالهي حقه . وباشتراك اللاهوت مع الناسوت في الآلام والصلب والموت لم يتأثر جوهره . فالانسان المركب من النفس والجسد ، قد يقع على نفسه احيانا بعض الالام فيتأثر الجسد من ذلك ويمرض . واحيانا تقع الآلام والاوجاع على جسد الانسان كبتر احداعضائه فتشترك معه الروح في الآلام ، وفي كلا الحالتين لا يمكن ان ينقص شيء من الروح في جوهرها بالرغم من ان الجسم ينتابه النقصان ، وعلى هذه الصورة يكون اللاهوت قد اشترك مع الناسوت في الآلام اشتراكا ادبيا دون ان ينقص شيء من جوهره. وهذا ما فهمه الآباء القديسون وملافنة الكنيسة منذ العصور الاولى. قال مار اسحق الانطاكي في ميمره بالسريانية عن الايمان: ان فخر الكنيسة هو ان الاله

مات على الصليب ».

٤ ـ وقال الرسول بولس ايضا « ان كنا ونحن اعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالاولى كثيرا ونحن مصالحون نخلص بحياته » (رو ٤ : ١٠) اليس ابن الله آلها ؟ فكيف يمكن ان يموت ابن الله ؟ فالرسول لم يفرق بين اللاهوت والناسوت بآيته هذه اذ يقول « ان الله صالحنا بموت ابنه » اي موته بالجسد لاجلنا ، وبذلك اثبت وجود الطبيعة الواحدة والفعل الواحد للكلمة المتجسد .

٥ ـ وقال يوحنا الانجيلي « هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد » (يو ٣ : ١٦) ، وهذه الآية لا تفرق شيئاً عن الآية السابقة فانها تظهر محبة الله للعالم في بذل ابنه ، ولا يمكن ان يقال ان المبذول هو الناسوت فقط ، لان المقصود في هذا النص هو ، ابن الله الوحيد . ولا يمكن ان يقال ان المبذول هو لاهوت الابن فقط ، لان البذل وقع فعلا على الناسوت . اذن تكون النتيجة ان المقصود بذلك هو الابن الكلمة المتجسد بطبيعته الواحدة واقنومه الواحد .

٦ ـ قال الرسول بولس « احترزوا اذا لانفسكم ولجميع الرعية التي اقامكم الروح القدس فيها اساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه » (أ ع ٢٠ : ٢٨) . فهل المقصود هنا هو دم الله ؟ فالله روح والروح ليس له لحم ودم . اذن هل تم عمل الفداء بدم الناسوت فقط ؟ فما هي اهميته للعالم ؟ ولماذا ينسب النص الدم لله ؟ النتيجة ان الفداء تم بواسطة الابن الكلمة المتجسد ، ونسبة صفات احدى الطبيعتين للاخرى ، كما في

الاية : دليل قاطع على وحدة الطبيعة قولا وفعلا .

٧ ـ قال يوحنا الانجيلي عن السيد المسيح « ليس احد صعد الى السماء . الا الذي نزل من السماء ابن الانسان الذي هو في السماء » (يو ٣ : ١٣) فلقب ابن الانسان أطلق على الابن الكلمة بعد تجسده . والرسول هنا ينسب اليه النزول والصعود الى السماء ، وهما من عمل اللاهوت لان الذي نزل من السماء هو لاهوته لاناسوته الذي اخذ من العذراء مريم . اذن صح نسبة النزول والصعود الى السماء الى ابن الانسان ، لاتحاد اقنوم الكلمة الازلي مع الجسد الزمني وصيرورتهما طبيعة واحدة . وفي ذكر كلمة « الذي » عن ذاته دعم لما ذكرنا .

٨ ـ قال بولس الرسول « يسوع المسيح هو هو امسا واليوم والى الابد » (عب ١٣ : ٨) وهذه الآية تشبه سابقتها اذ ان لفظة « يسوع » هي الاسم الذي اتخذه الكلمة عند تجسده ، والآية تنسب له صفة الوجود الدائم التي هي من صفات اللاهوت . وفي ذكر كلمة « هو » مكررة عن ذات يسوع ، تأكيد الدليل على وجود الطبيعة الواحدة والاقنوم الواحد لله الكلمة المتجسد .

٩ ـ قال يوحنا الرسول « الابن الوحيد الذي هو في حضن الاب هو خبّر » (يو ١ : ١٨) فالابن الوحيد الذي خبر هو الانسان المنظور الذي رآه الانجيلي وسمعه . والان يقول عنه هنا انه « هو » عينه موجود في حضن الآب . ولا يجوز ان يكون هذا الابن الوحيد واحدا بالعرض بل بالجوهر . فاذا بموجب النص والعقل هو واحد في الجوهر كما انـه

ابن واحد ، له اقنوم واحد ، وطبيعة واحدة . وفي ذكر كلمة « هو » مكررة عن ذات الابن تأكيد الدليل على وحدة الطبيعة .

١٠ ـ عندما اعتمد الكلمة المتجسد من عبده يوحنا في نهر الاردن سمع الصوت الالهي من السماء موجها اليه قائلا « هذا هو ابني الوحيد الذي به سررت » (مت ٣ : ١٧) فهل قصد بانه ابنه بالناسوت فقط ؟ لان الناسوت كان يعتمد . والناسوت بمفرده لا يصلح ان يكون ابنا طبيعيا لله الاب . كما لا يمكن ان يقال ان المقصود هو لاهوت الابن ، لان النطق الالهي صدر عندما كان السيد المسيح قائما في الماء ، والحمامة نزلت على هامته ... فالمقصود بذلك اذن هو الابن الكلمة المتجسد بطبيعته الواحدة المتحدة .

١١ ـ قال الرسول بولس « لان الله نفسه بنعمته ذاق الموت لاجل كل واحد لانه لاق بذاك الذي من اجله الكل وبه الكل وهو آت بابناء كثيرين الى المجد ، ان يكمل رئيس خلاصهم بالآلام » (عب٢:٩و١٠) (١). فالرسول بقوله ، الله نفسه بنعمته ذاق الموت لم يفرق بين اللاهوت

١ » يعترضون ، قرئت هذه الاية في نسخ « لكي يذوق بدون الله الموت لاجل كل واحد » وقرئت في اخرى « لكى يذوق بنعمة الله الموت الخ » انظر حاشية نسخة بيروت . الجواب : ان الترجمات والنسخ المشهورة قرأت الاية بالنص الذي اوردناه . كنسخ السريان واليونان والافرنج والارمن والقبط والكرج والصرب والصقالبة والحبش . وعجز النص ، وغيرها من آيات الرسول يؤيد ذلك . فلا عبرة بسوى هذه النسخ . « المطاليب النظرية ص ١٨٧ » والفصل الخامس من الباب الرابع من الركن الرابع من منارة الاقداس للعلامة ابن العبرى ..

والناسوت وبذلك يؤيد ان للسيد المسيح طبيعة واحدة واقنوما واحدا. ويدعم هذا القول الآباء القديسون . فمار افرام (٣٧٣ +) يقول في ميمره الآنف الذكر عن الآلام « لقد قدموا قصبة السخرية الى ذراع الخالق العظيم ، لقد سمروا على الصليب الشبر الذي قاس السماء . ان الله بمسيحه برأ الخلائق وابدعها . لقد سمر ابناء آدم اليدين اللتين جبلتا آدم ، انتصب الله في المحكمة ولطمه العبد على وجهه . نحن لا يمكن ان تحتمل اسماعنا كلمة صغرى ، والله معلق على الصليب ، والخليقة مجلببة بالحداد ». ويقول القديس كيرلس في حرمه الثاني عشر « من لا يعترف بان كلمة الله تألم بالجسد وذاق الموت بالجسد وصار بكر الاموات اذ هو حي ومحي هو الله ، فليكن محروما » .

وقس على ذلك النصوص الآتية :

الذي نزل هو الذي صعد ايضا فوق جميع السموات لكي يملأ الكل (اف ٤ : ١١) . رب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الاشياء ونحن به (اكو ٨ : ٦) ولكن لما جاء ملء الزمان ارسل الله ابنه مولودا من امرأة مولودا تحت الناموس (غل ٤ : ٤) لذلك يقول اذ صعد الى العلا سبى سبيا واعطى الناس عطايا ، واما انه صعد فما هو الا انه نزل ايضا اولا الى اقسام الارض السفلى ، الذي نزل هو الذي صعد ايضا فوق جميع السموات ، لكي يملأ الكل (اف ٤ : ٨ ـ ١٠) وبالاجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد تبرر في الروح تراءى لملائكة كرز به بين

الامم اؤمن به في العالم رفع في المجد (اتي ٣ : ١٦) فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع ايضا الذي اذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة ان يكون معادلا لله لكنه اخلى نفسه اخذا صورة عبد صائرا في شبه الناس واذ وجد في الهيئة كانسان وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب (في ٢ : ٦ - ٨) الله بعد ما كلم الاباء بالانبياء قديما بانواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الايام الاخيرة في ابنه الذي جعله وارثا لكل شيء الذي به ايضا عمل العالمين ، الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الاشياء بكلمة قدرته ، بعد ما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا ، جلس في يمين العظمة في الاعالي (عب ١ : ٣١) . وكانوا (بنو اسرائيل) يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح (اكو ١٠ : ٤) . لا تجرب المسيح كما جرب ايضا اناس منهم فاهلكتهم الحيات (اكو ١٠:٩) من اين لي هذا ان تأتي امّ ربي اليّ (لو ١:٤٤) . فانه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا (كو ٢ : ٩) . منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجدالله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لاجلنا لكي يفدينا من كل اثم (تي ٢:١٣) انا والآب واحد (يو ١٠:٣٨) وان الآب في وانا فيه ، ومن رآني فقد رأى الآب الخ .

ومن هذه النصوص الآلهية العديدة يتضح لنا ان بين كلمة الله الازلي والجسد المجبول بواسطة الروح القدس من القديسة مريم العذراء وحدة حقيقية طبيعية منزهة عن الثنائية والانقسام .

هذا علاوة على ان في ولادة السيد المسيح الخارقة الطبيعة دليلا قاطعا على اتحاد لاهوته بناسوته قولا وفعلا . اذ قد استمرت بتوليـة العذراء

بعدولادته . وتمت بذلك نبوءة حزقيال القائل عنها « هذا الباب يكون مغلقاً لا يفتح لان الرب دخـــل فيه » (حز ٤٤ : ٢) . فاذا اعتبرت الولادة مختصة بالناسوت فقط - حسب رأيهم - كان لا بد من افتضاض بكارة العذراء مريم . اما وقد استمرت بتوليتها كما كانت قبل الولادة ، ففي ذلك برهان سديد على اتحـاد اللاهوت بالناسوت قولاً وفعلا . قال احد الآباء سائلا الذين يعتقدون بطبيعتين للسيد المسيح « هـــل ولدت العذراء مريم آلهاً ام انسانا فان قلتم آلهاً ضللتم لان الله لا يولد ، وان قلتم انساناً كانت ام انسان لا ام آله ، وذلك تنكرونه طبعاً . وان قلتم ولدت آلهاًوانساناً كانت ام آله وانسان ، فلها ابنان احدهما آلهوالآخر انسان وهذا قول ينقضه العقل ويزيفه . فاذن لا يصح الا ان تقولوا ان الآله والانسان صارا واحداً ، ولذلك مريم ولدت واحداً . فالذي ولدته لا آلهاً بالاطلاق ولا انساناً بالاطلاق ، ولا آلهاً وانساناً ، بل آلهـــاً متأنساً وهذا هو الحق (١) .

٧ - وحدة الاله المتجسد وخصوم الكنيسة

١ - جاء في تـــاريخ الانشقاق للسيد جراسيموس مسرة للروم الارثوذكس صحيفة ١٩٣ قوله « وكان معلمو الغرب على الغالب متفقين مع الاسكندريين في المنهج والتعبير كما يتضح من رسائـل يوليوس بابا رومية الى ديونيسيوس اسقف قبرص في اواسط القرن الرابع حيث ينكر

« ١ » كتاب اللاهوت للقمص ميخائيل مينا جزء ١ طبعه ثانية ص ٣٣٦ .

الاعتراف بطبيعتين استناداً الى قول الانجيل « والكلمـــة صار جسداً » وقول الرسول بولس « رب واحد يسوع المسيح » ويعترف بطبيعة واحدة للاهوت الغير المتألم والناسوت المتألم ».

٢ ـ جاء في كتاب (الايمان الصحيح في السيد المسيح) الذي وضعه احد اساقفة اللاتين ، وترجم الى العربية في رومة وطبع فيها اولا ثم طبع في بيروت سنة ١٨٦٤ قال ص ٩٢ و ٩٣) ، ان الكنيسة الرومانيـة ، تعتقد وتعلم بوجود طبيعتين في المسيح ، ثم تطعن بالحرم من لا يعتقد بان المسيح هو طبيعة واحدة . كما تدون ذلك في المجمع اللاتراني المنعقد بأمر (القديس) مرتينو البابا سنة ستمائة وتسع واربعين في القانون الخامس بهذه الالفاظ ، « من لا يعتقد بموجب رأي الاباء القديسين انه توجد طبيعة واحدة للاله الكلمة في المسيح خاصـة وحقا ، دلالة على ان المسيح اخذ جوهرنا كله كاملا ما عدا الخطيئة فليكن محروما ».

٣ ـ وجاء في كتاب « مختصر المقالات اللاهوتية » لبيروني اليسوعي ترجمة الخوري يوسف الدبس الجزء الثالث ص ١٧١ ، في ملاحظته على قول الآباء « طبيعة واحدة للكلمة المتجسد » ما نصه « فان اريـــد انهم يعلمون ان الطبيعة المتجسدة صارت واحدة بعد الاتحاد فانا اسلم بذلك . وان اريد انهم يقولون ذلك في الطبيعة بالاطلاق فانا انكر ».

وقد جاء ايضا ص ١٨٣ من الكتاب نفسه ما يؤيـد القول بالفعل الواحد للسيد المسيح اذ قال « فأسلم ان المسيح اظهر فعلا واحـــداً او بالحري فعلا جديداً تياندريكيا (مركباً) بسبب الاتحـاد العجيب بين

الطبيعتين واجتماعهما على الفعل الواحد ».

٤ ـ وجاء في كتاب « نظام التعليم في علم اللاهوت القويم » للابروتستنت المجلد الثاني ص ١٩٩ ، ما يتفق وعقيدتنا السمحاء ، قال « ان اعمـال المسيح بعضها الهي محض كالعجائب وبعضهـــا بشري محض ، كالاكل والشرب والنوم ، وبعضها الهي وبشري وهو ما يشترك في عمله الطبيعتان كعمل الفداء ، ولا يخفى ان جميع تلك الاعمال هي اعمال شخص واحد وان اعمال المسيح هي اعمال شخص الهي وان اختصت بطبيعة البشرية ولذلك يجوز ان تعتبر طاعة المسيح وآلامه ، وان كانت ليست طاعة والآم الطبيعـــة الالهية ، انها طاعـــة والآم شخص الهي .....

فان نفس الانسان لا يمكن ان تجرح ولا ان تحرق ، ولكن متى اصاب الجسد شيء من ذلك نسبناه الى الانسان كله ، وعلى هذا المبدأ نقول ان طاعة المسيح بر الله ، وان دم المسيح دم الهي ، ومن ذلـــك نتج الاستحقاق غير المحدود وفاعلية عمله ... وربمـــا سمي شخص المسيح باحدى طبيعتيه ونسب اليه من الاعمال ما هو خاص بالطبيعة الاخرى ، فانه في الكلام على تسليمه نفسه الموت سمي الله وابن الله ورب المجد ، وسمي ايضا الانسان وابن الانسان ونسب اليه من الاعمال ما هو خاص بسلطانه الالهي فقط ، ومن ذلك القول ان ابن الانسان هو الذي يغفر الخطايا ، ورب السبت ، ويقيم الموتى ، ويرسل ملائكته ليجمع مختاريه).

٥ ـ قال الارشمندريت فلاديمير جيتي Guette الكاثوليكي في المجلد الخامس من كتابه (التاريخ الكنسي) ، عن المجمع الخلقيدوني الذي

قرر عقيدة الطبيعتين ، قال ما نصه « ان في قرارات المجمع الخلقيدوني من العبارات ما يمكن الخروج منها على بدعة نسطور ، التي كان شبحها المفزع ما زال ماثلا امام العيون » .

ويفصح هذا المؤلف ايضا فيقول « ان العدد العديد من الاساقفة الذين امتنعوا من الاعتراف بصحة المجمع الخلقيدوني ، كان لهم العذر كل العذر في امتناعهم لان قرارات ذلك المجمع الخاصة بالعقيدة ، تخللتها عبارات قد تؤدي الى التردي في البدعة النسطورية . » (جيتي مجلده ص ٤٦ (Guett T. 5, P. 46) .

وقال ايضاً « ان لاون اسقف رومية كان مدفوعا في نضاله الديني برذيلة الحسد التي كان يحجبها بالغيرة الكاذبة على الدين » مجلد ٥ ص ٢١) . (١)

فمن الشهادات السابقة التي هي للخصوم انفسهم ، ندرك ، ويدرك معنا كل من له ذرة من الضمير الحي ، بان كنيستنا المقدسة لم تحد قيد شعرة عن ايمانها القويم الذي تسلمته من الرسل الاطهار والآباء الميامين ، بل بقيت محافظة عليه ، وثابتة على عقيدتها السمحاء منادية « بطبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد » وقد بذلت في سبيل الحفاظ على هذه العقيدة القويمة الغالي والنفيس . وقدّمت الوف الشهداء ، مسجلة لها في التاريخ صفحة ناصعة البياض في الجهاد المثمر ، ونالت اكليل الغلبة بقوة ربها

« ١ » انظر عصر المجامع للقمص كيرلس الانطوني ص ٢١٦ - ٢١٧

ومخلصها يسوع المسيح الذي وعد بان يكون معها الى الابد وابواب الجحيم لن تقوى عليها .

الخاتمة :

هذا ما عنّ لي ان اخاطبكم به في هذا المؤتمر الودي ، اجابة الى رغبة ودعوة اعضائه الافاضل . طالباً من الله ان يسدد خطواتنا جميعا الى ما فيه مجده تعالى وانتشار ملكوته السماوي . وان يجمع الخراف المشتتة الى حظيرة واحدة ، مثبّتا كنيسته المقدسة على صخرة الايمان القويم . انه السميع المجيب آمـــين .

طبع في مطابع الفجر الحديثة - حمص

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
ب	١٠	الانجلية	الانجيلية
»	١٤	المسيحة	المسيحية
٥	٩	الي	الى
»	١٨	فتنكهوا	فتنكبوا
٦	٦	ناسبت	ناصبت
٦	١٩	خلقة	خلقه
٩	١١	اخيم	(اخميم)
١٠	١٩	رفضت	ارفضت
١١	٣	فرفع شكواه	فرفع شكواه الى
١٢	١٧	المجع	المجمع
١٣	٣	بامان مجمي	بإيمان مجمعي
»	١٦	لرهاوي	الرهاوي
١٤	٨	بيطنه	يبطنه
١٦	١٧	تاريح	تاريخ
١٧	٧	خاقدونية	خلقيدونية
٢١	٥	أفا الشهامسة	أفاالشهامسة
٢٢	٤	رهب	يرهب
»	١٣	قورنشس	قورنش
٢٤	١٦	المتجسدة	المتجسد
٣٠	١٤	المتوفي	المتوفى
٤٠	٤	الكمة	الكلمة
٤٤	١٣	واحداً	واحد